مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، ص509– ص558 يناير 2013
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

# "بريطانيـــا العظمـــى واتفاقيـــة قبـــرص 1878"

**د. يوسف حسين يوسف عمر**

أستاذ مساعد في التاريخ الحديث والمعاصر

**جامعة الأقصى – غزة- فلسطين**

**ملخص:** عندما ظهر لبريطانيا عدم قدرة الدولة العثمانية على الحفاظ علـــى اســـتقلالها وتكامـــل ممتلكاتها خصوصاً بعد إعلان روسيا الحرب عليها عام 1877، عمدت بريطانيا إلى استغلال هذه الحرب واعتمدت سياسة جديدة عُرفت باسم "سياسة التعويض"، أي حصول بريطانيا مـــن الدولـــة العثمانية على ثمن مقابل قيام بريطانيا سابقاً بالوقوف معها ضد مطامع القوى الأوروبية الأخـــرى، لذلك فقد قامت بالعمل من أجل اختيار أفضل المناطق العثمانية وأكثرها فائدة من أجـــل الـــسيطرة عليها وضمها إلى الأملاك البريطانية، حيث وقع الاختيار أخيراً على قبرص، ومن أجل هذا الهدف دخلت بريطانيا في مفاوضات طويلة مع الدولة العثمانية التي كانت تخوض حرباً خاسرة مع روسيا، الأمر الذي اضطر الدولة العثمانية في نهاية الأمر إلى التوقيع على اتفاقية قبـــرص مقابـــل قيـــام بريطانيا بالدفاع عن المقاطعات الآسيوية من الدولة العثمانية واسترجاع المناطق التي تحتلها روسيا، ورغم توقيع اتفاقية قبرص والاتفاقية الملحقة بها، إلا أن تطور الأمور دل على أن بريطانيا كانت قد أحكمت سيطرتها على قبرص بشكل نهائي دون أن تقوم بريطانيا بتعهداتها تجاه الدولة العثمانية.

## "Great Britain and Cyprus Convention 1878"

**Abstract:** When Britain discovered the inability of the Ottoman Empire to maintain its stability and integrity of its provinces, especially after Russia had declared war against it in 1877, Britain intended to exploit this war and decided to adopt a new policy known as "Compensation Policy". Britain obtained from the Ottoman Empire a price for its previous support against the ambitions of the other European powers. Britain chose a few strategically useful Ottoman areas in order to control and later annex to the British Empire. Cyprus became a prime target for this purpose. Britain entered into long negotiations with the Ottoman Empire, which was engaged in a lost war with Russia. The Ottoman State was finally obliged to sign the Cyprus Convention in return for Britain's commitment to help defend the Asian provinces of the Ottoman Empire and retrieve the areas occupied by Russia. In spite of signing the Cyprus Convention and its appended agreement, the ensued developments indicated that Britain obtained final control of Cyprus and did not fulfil its obligations to the Ottoman Empire.

**المقدمة**:

كانت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر تعاني من حالة الضعف والانهيار الذي بدأ يظهر منذ نهاية القرن السادس عشر، ويمكن إجمال أهم أسباب ضعف الدولة العثمانية بما يلي:

1- عدم وجود سلاطين أقوياء بما يكفي للحفاظ على المكتسبات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي حققتها الدولة العثمانية إبان فترة القوة والتوسع.
2- انشغال سلاطين وأمراء الدولة العثمانية بالفتن والمشاكل الداخلية التي نشأت داخل مؤسسة الحكم، مما أدى إلى وجود العديد من المؤامرات التي أضعفت الدولة العثمانية.
3- تصدي الدول الأوروبية للدولة العثمانية من خلال الحروب والمؤامرات، باعتبار الدولة العثمانية خطراً إسلامياً شرقياً يهدد القارة الأوروبية المسيحية.
4- نظام الامتيازات الذي منح الدول الأوروبية الكثير من الامتيازات الدينية والسياسية والاقتصادية، مما جعلها تتدخل بشكل سافر بالشئون الداخلية للدولة العثمانية.
5- قيام الثورات المختلفة ضد الدولة العثمانية ولاسيما من قبل شعوب البلقان الذين دُعموا بشكل كبير من قبل العديد من الدول الأوروبية.
6- ضعف السياسة المالية والاقتصادية للدولة العثمانية، مما اضطرها للاعتماد على القروض الأوروبية، ورغم ذلك لم تتحسن الظروف الاقتصادية، مما أدى بالدولة العثمانية إلى إعلان إفلاسها عام 1875.
7- عدم قدرة الدولة العثمانية على تقييم أوضاعها أو إصلاح نفسها، وتمثل ذلك في فشل تنظيمات وإصلاحات خط شريف كلخانة عام 1839، وإصلاحات خط همايون 1856، بالإضافة إلى العديد من الإصلاحات الأخرى التي كانت الدولة العثمانية بحاجة ماسة لها.

كان هناك العديد من الدول الأوروبية التي كان لها اهتمامات خاصة وواضحة بالمسألة الشرقية، والتي تعمل على مراقبة الوضع داخل الدولة العثمانية، فروسيا كانت حتى ذلك الوقت بمثابة العدو التقليدي والأكبر للدولة العثمانية، لذلك فقد كانت تطمح لإنهاء وجودها، والسيطرة على استانبول، والوصول إلى المياه الدافئة، كما كانت روسيا لا تزال تنظر إلى نفسها على أنها حامية للمسيحيين السلاف، والذي ينتمي الجزء الأكبر منهم إلى الكنيسة الأرثوذكسية التي تتبع الكنيسة الروسية، مما أدى إلى قيام روسيا بالعديد من الحروب ضد الدولة العثمانية. أما النمسا فكان لها مصالح تاريخية واضحة في البوسنة والهرسك، لكن مواقفها كانت متضاربة ما بين مساندة روسيا في أطماعها وبين الوقوف مع الدولة العثمانية من أجل الحفاظ على مصالحها، بينما كانت فرنسا منشغلة تماماً في شؤونها الداخلية، كما كانت ايطاليا منشغلة بأمور وحدتها ومشاكلها الداخلية، ولم تكن معنية بأي حال بالصراع مع الدولة العثمانية، أما ألمانيا فكانت لا تزال منشغلة هي الأخرى بمسألة الوحدة الألمانية التي تحققت عام 1871، لكنها سرعان ما أصبحت قوة سياسية وعسكرية خلال سنوات قليلة بفضل بسمارك Bismarck، الذي أبدى مواقف معادية

للدولة العثمانية، مطالبا بتقسيمها بين الدول الأوروبية ذات العلاقة، لكن هذه الدول كانت غير متفقة فيما بينها، كما أن الكثير من الشكوك كانت تراودهم تجاه نوايا بسمارك[1].

عندما تبلورت السياسة الاستعمارية في أوروبا كانت بريطانيا أكثر هذه الدول توسعاً في هذا المجال، لذلك كان من الواجب عليها العمل من أجل الحفاظ على مصالحها في هذه المناطق وخصوصاً في الهند بكل الطرق والوسائل الممكنة سياسية كانت أم عسكرية، وعندما كان التنافس الاستعماري الأوروبي على أشده؛ فقد عملت بريطانيا للحيلولة دون قيام هذه الدول بتهديد مصالحها أو طرق المواصلات إليها، وذلك من أجل رفاهية إمبراطوريتها الممتدة عبر العديد من القارات، ومن هذا المنطلق فقد قامت بريطانيا بدعم استقلال وتكامل أراضي الدولة العثمانية لعشرات السنوات من أجل الحفاظ على هذه المصالح لا من أجل الدولة العثمانية نفسها.

ولقد وقفت بريطانيا بشدة تجاه كل دولة أوروبية تعمل على تهديد الدولة العثمانية أو تفكر في اقتسام أملاكها مهما كلف الأمر، وذلك حتى تبلورت وتطورت سياسة بريطانيا الاستعمارية تجاه الدولة العثمانية نفسها أثناء الحرب الروسية العثمانية عام 1877، حيث اعتقدت حكومات بريطانيا المتعاقبة منذ ذلك الحين أنه لا يوجد هناك أي قوة دافعة من الممكن أن تعيد الدولة العثمانية إلى ما كانت عليه من القوة والوحدة، وعمدت هذه الحكومات إلى اتباع "سياسة التعويض"؛ أي أن بريطانيا قد وقفت إلى جانب الدولة العثمانية ودعمت موقفها بما يكفي للحصول على ثمن ذلك، ومن هذا المنطلق فقد سعت بريطانيا من أجل أن تحظى بأكبر وأفضل المكاسب من هذه الدولة قبل انهيارها، ومن هنا بدأت السياسة البريطانية تتحول من العمل على المحافظة على استقلال وسيادة الدولة العثمانية إلى العمل على تقسيم واحتلال أملاك هذه الدولة، وكانت البداية باحتلال جزيرة قبرص.

بريطانيا و سياسة التعويض:

نشطت الدبلوماسية البريطانية في ظل التصعيد الناشئ بين روسيا والدولة العثمانية منذ عام 1875، حيث قوبلت مذكرة رئيس الوزراء النمساوي أندراسي Andrassy ومذكرتا برلين ولندن -من أجل حل المشاكل العالقة بين روسيا والدولة العثمانية- برفضٍ شديد من قبل الأخيرة، وذلك في ظل استمرار ثورة البلغار وبعض الأقليات الأخرى في البلقان، لذلك فقد عملت حكومة بريطانيا من أجل تحقيق مصالحها السياسية في هذه المنطقة المهمة والاستراتيجية للمصالح

(1) Eyck, Erich. Bismarck and the German Empire (London: George Allen & Unwin. 1950), p. 244.

البريطانية.

ومهما يكن من أمر فإن بريطانيا كانت جادة منذ خريف عام 1876 في البحث عن مكان آخر غير مالطا يصلح لتموين سفنها، وذلك فيما إذا اتُخِذت إجراءات ما "غير صديقة" من قبل أي طرف كان في غاليبولي أو إستانبول، أو كتعويض لما قد تحصل عليه روسيا من الدولة العثمانية، بحيث يكون التعويض مكاناً يضمن لبريطانيا حماية طريق الهند، وذلك في حال ما تم تقسيم الدولة العثمانية[2].

وحتى ذلك الوقت كانت أهم مشكلة لدي –رئيس الوزراء البريطاني- "دزرائيلي" Disraeli هي الحيلولة دون انهيار الدولة العثمانية، أو أن تقع إستانبول في أيدي الروس، والتي أبدى "دزرائيلي" اهتماماً بالدفاع عنها، ورغم ذلك فقد أجرت وزارة الحربية البريطانية دراسات عدة حول أفضل الأماكن التي يمكن أن تسيطر عليها بريطانيا في البحر المتوسط لحماية مصالحها في الشرق، وبينما كان –وزير الخارجية البريطاني- دربي Derby يرغب في تنظيم هدنة بين الدولة العثمانية ورعاياها الثائرين تكفل إصلاح الأوضاع؛ كان "دزرائيلي" يركز اهتمامه على مستقبل إستانبول التي اعتبرها في ذلك الوقت "المفتاح إلى الهند"[3].

ولقد أخذت بريطانيا على عاتقها القيام بالبحث عن أفضل المواقع الاستراتيجية، لذلك فقد أرسل "سالزبوري" Salisbury -وزير الدولة لشؤون الهند- في بداية أكتوبر 1876 بمذكرة تعيين إلى الملازم "روبرت "هوم"" Robert Home من قسم المخابرات في وزارة الحرب البريطانية كمبعوث للحكومة البريطانية من أجل تحصين إستانبول والمضايق، وللبحث عن أفضل موقع داخل الدولة العثمانية تستطيع بريطانيا الاستفادة منه على أكبر نطاق[4]، وعندما عُقد مؤتمر إستانبول في يناير 1877 لإيجاد مخرج سياسي للحيلولة دون إعلان روسيا الحرب على الدولة العثمانية، بدأ "هوم" أعماله وبعد ذلك طلب "سالزبوري" منه الحصول على معلومات عسكرية إضافية بشأن الدولة العثمانية وخصوصا بشأن جزيرة رودس وقبرص[5].

وكان هناك العديد من العوامل التي حددتها بريطانيا لاختيار منطقة لاحتلالها شرق البحر

(2) Lee, Dwight E. Great Britain and the Cyprus Convention Policy of 1878 (Cambridge: Harvard University Press, 1934), p. 60.

(3) Cecil, Lady Gwendolen. Life of Robert Marquis of Salisbury (London: Hodder and Stoughton, 1921, 1932), Vol. 1, p.84-6

(4) Memorandum by General Sir J. L. A. Simmons, 10 Feb. 1877, P. R. O. F.O 358-1, Simmons Papers; Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 214.

(5) Thornton, A. P. Rivalries in the Mediterranean (Cambridge: Cambridge University Press, 1962), p. 572.

المتوسط من أجل تعزيز وجودها ومراعاة مصالحها في شرق البحر المتوسط والتي تعود عليها بالمنافع العظيمة، ويمكن تقسيم هذه العوامل إلى عوامل سياسية وعسكرية وبحرية وتجارية، بالإضافة إلى أن بريطانيا كانت تأخذ بالحسبان مسألة العامل السكاني والديني في المنطقة التي ستحتلها شرق البحر المتوسط(6).

فمن ناحية التأثير السياسي كان يجب على بريطانيا القيام بالتنمية العاجلة للمنطقة المراد وضعها تحت السيطرة البريطانية في حال تغيّرت السيادة من حكم الدولة العثمانية إلى حكم بريطانيا، مما يجعلها تعمل على تطوير المنطقة بما يليق وهيبة بريطانيا، كما أرادت الأخيرة الحفاظ على الوضع القائم في مضيقي البسفور والدردنيل، فمن مصلحة بريطانيا أن يكون هناك تواجد قريب لها في المناطق الآسيوية من أجل الدفاع عنها ضد روسيا وتوسعها، وكانت هناك العديد من هذه المناطق التي تصلح كمفاتيح لآسيا الصغرى، مثل: مناطق القوقاز أو منابع دجلة والفرات، أو مناطق على الخليج العربي أو قناة السويس، كما يجب أن لا يجلب هذا الاختيار لهذه المنطقة الصعوبات للقوات البريطانية(7).

أما من الناحية التجارية، فقد كان على بريطانيا إيجاد مكان يُسهّل لها عمليات التجارة وفتح الأسواق في الشرق وخصوصاً الساحل الشرقي للبحر المتوسط، و أن يكون مستودعاً لبضائعها، مثل: ميناء الاسكندرية، الذي لم يكن في يد حكومة بريطانيا(8)، من ناحية أخرى أرادت بريطانيا تأمين طرق تجارتها عبر سفنها التجارية التي تبحر عبر السويس، فكان يجب عليها اختيار منطقة قريبة منها تؤدي الغرض من ذلك(9). كما أن هذه المنطقة يجب أن تكون ذات تكاليف مالية قليلة(10).

بريطانيا ومعايير سياسة التعويض:

كان "هوم" بعد أكثر من شهر قضاها في إستانبول قد أصبح مقتنعاً بأن روسيا سوف تشن هجوماً عاجلاً علي الدولة العثمانية، ولم يوافق "هوم" على الرأي القائل بضرورة أن تسارع بريطانيا إلي احتلال إستانبول رغماً عن الأتراك؛ لأن ذلك يحتاج من بريطانيا إلي 60 ألف جندي ويكلفها من 25 إلى30 مليون من الجنيهات، لذلك فهو يقترح بدلاً من ذلك قيام بريطانيا باحتلال

(6) Lee, Dwight E. "A Memorandum Concerning Cyprus 1878", The Journal of Modern History, Vol. III, June 1931, No. 2, p. 237.
(7) Ibid, p. 238-40
(8) Ibid, p. 238.
(9) Loc. Cit.
(10) Hill, Sir George. A History of Cyprus (Cambridge: At the University Press, 1952), p. 272.

كريت أو مصر أو جزيرة رودس، أو كل هذه الأماكن مجتمعة[11].

وكان "هوم" يرى بأن تترك بريطانيا الدولة العثمانية تواجه مصيرها وحدها، في حين تبحث هي عن بعض المناطق التي ترغب في الحصول عليها كتعويض من الدولة العثمانية، مثل: الدردنيل وقبرص، أما بشأن الدردنيل فإن "هوم" يعتقد بأن بريطانيا تستطيع بالحصول عليه أن تحمي الجانب الآسيوي من المضايق، كذلك الأمر فيما يتعلق بغاليبولي بتكلفة عسكرية تعادل مليونين و 632 ألف جنيهاً تسترلينياً، ويحتاج من بريطانيا إلى قوات يبلغ عددها 4 آلاف، وذلك في أوقات السلم لترتفع إلى 20 ألفاً في أوقات الحرب، مع الأخذ بالاعتبار أن تكلفة حماية الجانبين الآسيوي والأوروبي من الدولة العثمانية ستعادل نصف ما تحصل عليه الأخيرة من الضرائب المحصلة من مرور السفن في مضائقها[12].

وأكد "هوم" على أن الإدارة البريطانية لهذه المناطق ستكون أفضل من إدارة الدولة العثمانية، وأن عدم الحصول على غاليبولي له أضرار عديدة؛ لأنه قريب من الجبهة الروسية من جهة إستانبول، ويذكر "هوم" أنه لا يوجد ما هو أهم لبريطانيا من مستقبل الدردنيل، وذلك فيما إذا امتلكته بريطانيا أو أي دولة صديقة، الأمر الذي سيجعل مضيق البسفور ذا أهمية قليلة[13].

ويُعبر "هوم" عن وجود حالة واحدة فقط كي يصبح البسفور أكثر أهمية من حالة امتلاك الدردنيل؛ وذلك يكمن في إمكانية قيام روسيا باحتلال أرمينيا والجبال الكردية، مما يجعلها تهدد الخليج العربي عن طريق نهري دجلة والفرات، ويعتقد "هوم" أن روسيا ستحارب الدولة العثمانية من جهة آسيا، وأن الأتراك لديهم المقدرة على الدفاع عن ميناء باطوم[14] .

ولقد أرسل ""هوم"" تقريراً إلى لندن في 8 فبراير 1877 اعتبر فيه أن هناك مجالين مفتوحين أمام بريطانيا بشأن الدولة العثمانية؛ وهما:

الأول: "الحفاظ على الدولة العثمانية، وهذا ما يستدعي محاربة روسيا والنمسا وإيطاليا كإجراء احتياطي، وتساءل "هوم"، هل بوسع بريطانيا والدولة العثمانية القيام بذلك؟، ويعبر ""هوم"" عن اعتقاده بأن ذلك سيكلف الدولتين مصاريف كثيرة ودماء أكثر".

الثاني: "أن تُترك الدولة العثمانية لتواجه مصيرها في حين تحصل بريطانيا على بعض الأماكن التي لها فائدة، مثل: الدردنيل وقبرص، وهذا ما كان "سالزبوري" مستعداً له، وأنه من

(11) Robert Home to Simmons, F. O. 358-1 Cons. 20-12-1876, Conf
(12) F.O. 385-2, R. Home to Salisbury, 12 Jan. 1877, In Lee. Great, p. 176-8.
(13) Loc. Cit.
(14) Loc. Cit.

المستحيل تناول مسألة كهذه مثلما تم تناولها من قبل، بحيث لا يمكن أن تكون الدولة العثمانية حية وميتة في آن واحد؛ أي لا يمكن تحطيمها وصيانتها في الوقت نفسه، ولكن كانت هذه هي سياستنا وكانت النتيجة فشلنا الذريع"[15].

ويعتبر ""هوم"" في رسالته أن أي قوة لا تملك إمكانية فرض الحماية على هذا البلد – الدولـــة العثمانية – ولا تستطيع أن تجعله يسير قدماً، ويُظهر "هوم" "مفاســـد" الأوضـــاع داخـــل الدولـــة العثمانية، حيث ينتشر البقشيش (الرشوة)، في حين يشكل الباشوات طبقة بيروقراطية مغـــامرة لا يهمهم إلا إثراء أنفسهم، ولا يعملون مطلقاً لصالح بلدهم أو إصلاح هذه الأحوال، لذلك فإن الأمر يحتاج إلى قيام بريطانيا بفرض حمايتها على الدولة العثمانية مدة عشر سنوات، لكن "هوم" تساءل عما إذا كانت الدول الأوروبية ستسمح لهم بذلك ؟[16].

وتساءل ""هوم"" مجدداً: "هل نستطيع تدعيم استقلال الدولة العثمانيـــة وتماســـكها؟. فمـــسألة الاستقلال مسألة عسكرية، أما الثانية فهي مسألة سياسية، فإذا كانت الإجابة أننا لا نـــستطيع وإذا كان تنفيذ ذلك لا يساوي ما يَنتُج عنه من متاعب فإن المسألة التي يجب أن نبحثها هي: مـــا هـــو الجزء الذي تملكه الدولة العثمانية لنا لضمان وحماية مصالحنا وقت الحرب؟، فهذه المسائل ليست مسألة دينية ولا مسألة عاطفية، وينبغي أن تُعالج بعيداً عنهما، فإن الخطأ الذي نحن فيه هو أنه لا يوجد لدينا سياسة في أي مكان، فنحن لا نعرف ما نريد عمله، ولا كيف نعمل ما نريـــد، وكـــان حظنا سيئاً في الطريقة التي أردنا أن نصلح بها أنفسنا، وانتابنا سوء الحظ في اختيار ممثلينا"[17].

ويمضي ""هوم"" في القول: "إنني سوف أترك هذا البلد – الدولة العثمانية – ولدي قناعة بأنـــه لا الإصلاحات ولا الدستور يمكن أن يُنشئ هنا أمة أو دولة حقيقية"، ويُظهر ""هوم"" تعصباً دينياً حين يقول: "ماذا نستطيع أن نفعل في أمة تحكم نفسها بالقرآن في شؤون حياتها، ومـــاذا يمكـــن لبريطانيا أن تفعل إذا كانت حماية القانون في يد رجال الدين، وقانون الحكم يـــتم علـــى أســـاس القرآن؟ ويتألم الناس هناك من وجود ثلاثة أنواع من التوقيت وثلاث عطل أسبوعية وخمسة أنواع من النقود"[18].

ويختم ""هوم"" تقريره بالقول "أن الدولة العثمانية لا يوجد بها قوة دافعة يُعتد بها تستطيع أن تعيدها إلى جادة الصواب، وأن ذلك لا يحتاج إلى قوة خارجية، فهل تستطيع بريطانيا أن تضع

(15) F.O. 358-1, Home to Simmons, Cons., 8 Feb. 1877, Received, 21 Feb. 1877, In Lee. Great, p. 174-6.
(16) Loc. Cit.
(17) Loc. Cit.
(18) Loc. Cit.

الأمور في نصابها الصحيح؟. هي بلا شك قادرة، لكنها لا تفعل. وهل تستطيع روسيا القيام بذلك؟. هي بلا شك لا تستطيع، لكنها تحاول القيام بذلك". ثم يُعبر "هوم" عن اعتقاده بأنه لا يجب توجيه اللوم لممثلي بريطانيا، فماذا يستطيعون أن يفعلوا كي نلوم الشعب في بريطانيا، الذي ينبغي أن يدعم رئيس وزرائه، فيكف يمكنه أن يمضي في عمله إذا لم يكن الشعب كله من خلفه مؤيدين له"[19].

المناطق المرشحة ضمن سياسة التعويض البريطانية:

كانت مسألة اختيار المناطق التي ترغب بريطانيا بالسيطرة عليها حتى 3 فبراير 1877 لا زالت مستمرة، ولكن لم يتم اتخاذ خطوات بشأنها[20]، ففي 28 أبريل 1877 كَلَفَ الجنرال "سيمونس" Simmons -من وزارة الحربية البريطانية- بعض الضباط التابعين له للبحث في البحر المتوسط عن أصلح الموانئ لتموين الأسطول البريطاني وإجراء الإصلاحات فيه، حيث اتضح لسيمونس أنه لا "رودس" ولا "قبرص" تصلح لذلك الغرض، كما استبعد كريت رغم أن فيها موانئ صالحة؛ إلا أن حجمها وعدد سكانها يجعل هناك حاجة ماسة إلى مرابطة قوات بريطانية كبيرة لحمايتها[21]، وقد ناقش "هوم" أن اليونانيين سيثيرون المتاعب لبريطانيا إذا ما سيطرت على "كريت"، كما خَلُصَ إلى استحالة احتلال "رودس" إلا إذا كانوا على صداقة أو تحالف مع الدولة العثمانية[22].

يمكن القول في ذلك إنه تم اقتراح العديد من الأماكن شرق البحر المتوسط، كان على بريطانيا النظر فيها، مثل شبه جزيرة "غاليبولي" مع مناطق على الجانب الآسيوي بين خليج "أدرميد" Edremid وبحر "مرمرة" Sea of Marmara كذلك جزيرة "متيلين" Mytilene وجزيرة "لمينوز" Lemnos، وجزيرة "ستامبيليا" Stampalia وجزيرة "كريت" و"الإسكندرونة" Alexandretta وعكا "وحيفا" و"الإسكندرية" وجزيرة "قبرص"[23].

كان من أكثر هذه المناطق إلحاحاً في ذلك الوقت منطقة "الإسكندرونة"، والتي تم التفكير بها لأسباب استراتيجية متصلة بالمصالح البريطانية في نهر الفرات، ولكن بريطانيا سرعان ما استبعدت خيار "الإسكندرونة" بسبب المصالح الفرنسية فيها، أما اختيار "الإسكندرية" فكان سيعتبر

(19) Loc. Cit.
(20) F. O. to Jocelyn, 3 Feb. 1877, F. O. 78-2557, No. 54.
(21) Lee. Great, p. 60; Kurat, Yuluğ Tekin. Henry Layard'in Istanbul Elçiliği 1877-1880 (Ankara: Ankara Üniversitesi Basimevi, 1968), s. 79.
(22) Home to Simmons, Cons. 20 Dec. 1876, F. O. 358-1, Conf.
(23) Lee. "A Memorandum", p. 238-9; Hill. A History, p. 276; Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 214 -5.

احتلالاً لمصر، كما لم يتم التفكير بها للأسباب نفسها، كما تم استبعاد العديد من الأماكن شرق البحر المتوسط المقترحة، مثل: "غاليبولي" و"ليمونز" و"حيفا" و"عكا" وبقية المناطق التي اقترحت من قبل وزارة المستعمرات[24]، وذلك للأسباب السابقة إضافة إلى سوء موانئها أو لبعدها عن البحر أو عن طريق تجارة الهند، أو لبعدها الجغرافي بحيث لا يمكن باحتلالها والسيطرة عليها التأثير على روسيا[25].

ولقد بدأت الكتابات في الصحف البريطانية تتضمن العديد من المقترحات، وهناك من رأي ضرورة تعويض بريطانيا عن تقدم روسيا في أرمينيا وذلك من خلال احتلال مصر، وكتب البعض في مجلة "فورتنايتلي" Fortnightly بأن تأخذ بريطانيا "قبرص" وتحولها إلى جبل "طارق" آخر تحمي من خلاله الشواطئ السورية ومدخل قناة السويس، لكن الاستيلاء على مصر آنذاك لم يلق تأييداً؛ لأن حزب الأحرار وحزب المحافظين لم يحبذا ذلك خشية إثارة فرنسا[26].

كانت رسائل "هوم" إلي "سيمونس" تحمل في طياتها الكثير عن هذه المسألة وهو المكلف رسمياً من قبل الحكومة البريطانية بهذه المهمة[27]، لذلك فقد عمل بدأب من أجل إنجاز هذه المهمة علي أكمل وجه من خلال اختيار أفضل المناطق، وكانت الصحافة البريطانية آنذاك تردد كثيراً اقتراحات "هوم"، في نفس الوقت الذي اعترف فيه ""دزرائيلي"" أنه إذا نشبت حرب بين روسيا والدولة العثمانية؛ فعلي بريطانيا أن تأخذ شيئاً من أملاك الدولة العثمانية، ورغم ذلك فقد اتجهت جهود ""دزرائيلي"" من أجل منع نشوب هذه الحرب؛ لأن بريطانيا كانت تعتقد أن المستشار الألماني بسمارك Bismarck ربما يقوم بهجوم علي فرنسا إذا ما انشغلت روسيا بحرب (ما) في الشرق[28].

في ذلك الوقت استطاعت روسيا إلحاق الهزيمة بالدولة العثمانية في العديد من الجبهات الحربية، الأمر الذي أنهك الدولة العثمانية والتي بدورها توجهت إلى بريطانيا من أجل الحصول على قروض من أجل دعم الجهود الحربية، ولقد أرسل ""لايارد"" Layard السفير البريطاني الجديد في "استانبول" إلى ""دزرائيلي"" في رسالته بتاريخ 12 ديسمبر 1877 حول طلب الدولة العثمانية قرضاً من بريطانيا، وكان ""دزرائيلي"" قد أبدى رغبة جدية في تقديم المساعدة لها، لكن الحكومة البريطانية رغبت في الحصول على ضمانات مادية، لذلك فقد ألمح ""لايارد"" إلى بعض

(24) Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 214-5; Hill. A History, p. 276.
(25) Hill. A History, p. 276; Lee "A Memorandum", p. 238-9.
(26) Lee. Great, p. 65.
(27) Ibid, p. 35.
(28) Ibid, p. 42.

الامتيازات التي يمكن لبريطانيا الحصول عليها، وتكون امتيازاً خاصاً بمنطقة أو بقطعة أرض تدفع بريطانيا مقابله مبلغاً من المال يكون كافياً لمساعدة الدولة العثمانية في دخول معركة ثانية إذا ما كان هناك أملاً في الانتصار، لكن ""دزرائيلي"" لم يحدد نوع التنازل الذي يريده من الدولة العثمانية مقابل ذلك، ولقد رد وزير الخارجية العثماني "سرور باشا" على ذلك بأنه يرى مع الصدر الأعظم بأنه من الصعب جداً إن لم يكن من المستحيل بالنسبة للسلطان أن يتنازل عن أي جزء من أرضه مقابل مال يتم الحصول عليه[29].

ويذكر المؤرخ التركي "كورات" Kurat أن ""دزرائيلي"" عارض تماماً طلب السفير العثماني في لندن "موزوروس باشا" بشأن إقراض الدولة العثمانية من حكومة بريطانيا، لاعتقاد ""دزرائيلي"" بأن البرلمان الإنجليزي لن يوافق على ذلك، كما أرسل إلى ""لايارد"" بأن "مساعدتنا المادية إلى الدولة العثمانية لا يمكن تقديمها إلا بإعطاء الباب العالي جزء من أراضيه التي تتناسب مع مصالح بريطانيا"[30].

ولقد أثار موقف بريطانيا من الحرب الروسية العثمانية ونشاطها بشأن اختيار منطقة تسيطر عليها شكوك الدولة العثمانية، حيث أرسل ""لايارد"" إلى ""دزرائيلي"" رسالة في 12 ديسمبر 1877 يخبره فيها بأن شكوك الدولة العثمانية قد زادت تجاه بريطانيا، مما يجعل حديثه مع المسؤولين الأتراك في الأمور السياسية صعب للغاية[31]، ويمضي ""لايارد"" فيقول: إنه في ظل الظروف الحاضرة فإن الباب العالي لا يجب أن يستمع إلى أي اقتراح بشأن التنازل عن قطعة من أراضيه، فما زال السلطان والوزراء الأتراك متعلقون ومهتمون شكلياً بمسألة استقلال ووحدة الدولة العثمانية، وأنهم بذلك يعتقدون بأن التنازل عن أي أرض يعني إلغاء وحدة واستقلال الدولة[32].

ويسترسل ""لايارد"" في رسالته هذه، فقال: "إن أحسن مكان تستطيع بريطانيا الحصول عليه مقابل مساعدة الدولة العثمانية مادياً هو ميناء "باطوم" الذي يتحكم في أرمينيا وكذلك في دجلة والفرات، وأن روسيا إذا ما أخذت باطوم فإن ذلك سوف يجعلها تسيطر على أرمينيا وبالتالي على دجلة والفرات، ولسوء الطالع فإن الشعب البريطاني الذي يعرف القليل عن الجغرافية ينظر إلى امتلاك روسيا لباطوم دون اهتمام وكأنه لا علاقة للأمر بمصالح بريطانيا، ففي رأيي إن وجود باطوم في يد روسيا خطر علينا، لذلك يجب على بريطانيا الإصرار على بقاء باطوم كميناء

(29) Layard to Beaconsfield, Cons, 12 Dec. 1877, F. O. 358-1, Sec.
(30) Kurat. Henry, s. 78.
(31) Layard to Beaconsfield, Cons. 12 Dec. 1877, F.O. 358-1, Sec.
(32) Loc. Cit

حر تحت سيادة الدولة العثمانية"[33]، وقال ""لايارد"" في سياق الرسالة: "إن احتلال موقع قيادي متقدم على الخليج العربي له أهمية كبرى لنا إذا ما فقد الباب العالي أرمينيا، إنني لا أعرف إذا ما كان للدولة العثمانية موقع مهم على الخليج العربي، وإنه يمكن الرجوع إلى حكومة الهند للحصول على معلومات وافية حول هذا الأمر، لكن هناك موقع قرب مصب الفرات وعند نقطة اتصال هذا النهر بمنطقة قارون الذي يعتبر منطقة من أغنى المناطق في فارس وهو موقع المحمرة، بحيث يمكن في أوقات الصلح تطوير التجارة في ودجلة والفرات، كما يمكن إصلاح طرق المواصلات إليها"[34].

والواقع أن السلطان "عبد الحميد" لم يكن لديه أي توجه ألبتة تجاه النوايا البريطانية بشأن قيام حكومته بمنح أراض تابعة له إلى بريطانيا؛ وذلك لأن هذا يتعارض مع وحدة واستقلال دولته[35]، وهذا ما استدعي ""لايارد"" إلى حث حكومته على الاتفاق مع الباب العالي؛ لأنه بمساعدة الأخيرة يمكن إيجاد حل لمشكلة طريق الهند[36]، وإذا كان الرأي العام في بريطانيا في بداية عام 1878 يؤيد ""دزرائيلي"" ويطالب بحماية المصالح البريطانية؛ فإن هناك انقساماً في الحكومة يتزعمه دربي الذي كان يعارض ذلك، كذلك كان موقف القوى الأوروبية التي كان ""دزرائيلي"" ينوي الاعتماد عليها في مقاومة روسيا، والتي منعته من القيام بسياسات نشطة مثلما كان يرغب[37].

وعندما عاد "هوم" إلى بريطانيا في مارس 1878، كان رأيه بشأن المسائل العسكرية في الشرق ذات رؤية هامة في الغالب، لذلك فقد تمت استشارته من قبل "سالزبوري" بشأن مسألة المناطق الاستراتيجية في شرق البحر المتوسط، حيث نصح "هوم" ""سالزبوري"" باختيار قبرص، لكن الأمور حتى ذلك الوقت لم يتم حسمها[38]، وعزز هذا الموقف موقف الأدميرال "جون هاي" Admiral John Hay الذي اعتبر الموقف بشأن قبرص هو الأفضل للحصول على قاعدة بحرية[39].

(33) Loc. Cit.
(34) Layard to Beaconsfield, Cons, 12 Dec. 1877, F. O. 358-1, Sec; Zia, Nasim. Kibris'nin Ingiltere'ye Geçişi ve Adada Kurulan Ingiliz Idaresi (Ankara: Ayyildiz Matbaasi, 1975), s. 18.
(35) Loc. Cit.
(36) Kurat. Henry, s. 79.
(37) Langer, William L. European Alliances and Alignments 1871-1890 (New York: Alfred A. Knopf, 1956), p. 132.
(38) Lee. "A Memorandum", p. 235-6; Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 215; Zia. Kibris'nin, s. 19.
(39) Hansard's Parliamentary Debates, 24 March 1879, p. 1557; Hill. A History, p. 272.

لذلك فقد أُثير الجدل مجدداً حول المنطقة التي سيتم أخذها فهل يتم اختيار قبرص أم غيرها، حيث أبدى ""دزرائيلي"" ميلاً إلى اختيارها أكثر من غيرها وأرسل إلى الملكة بشأن ذلك[40].

ولقد استشار ""سالزبوري"" "هوم" مجدداً حول هذا الأمر، خصوصاً بعد أن بدأ تركيز الحكومة البريطانية على قبرص دون غيرها، لذلك فقد تقرر القيام بدراسات من قبل بعض الضباط المختصين بأمور الشرق وكان على ""سالزبوري"" التوفيق بين ثلاث اتجاهات:

1- ما كان يطلبه ""دزرائيلي"" حول كيفية مواجهة الأزمة الناتجة عن فشل فكرة عقد مؤتمر أوروبي للنظر في تصرفات روسيا مع الدولة العثمانية وضرورة حصول بريطانيا على قاعدة بحرية.

2- ما كان يراه "هوم" من ضرورة اقتسام الدولة العثمانية.

3- ما كان يراه ""لايارد"" من ضرورة إصلاح الجانب الآسيوي من الدولة العثمانية وتطوير مواردها الطبيعية تحت إشراف حكومة بريطانيا[41].

وأثناء ذلك سمع الشعب في بريطانيا باتفاقية أيا "استيفانو" 6 مارس 1878 بين روسيا والدولة العثمانية، حيث قال "دزرائيلي" في مجلس الوزراء في 27 مارس 1878: إن توازن القوى في البحر المتوسط قد فُقِد، واقترح "دزرائيلي" احتلال الاسكندرونة وقبرص من قبل القوات البريطانية القادمة من الهند، واعتبر أن هذا الوضع لا يُوجب بالضرورة الاتفاق مع الباب العالي، وأنه بذلك يمكن منع خطر الروس في شرق البحر المتوسط وخليج البصرة[42]، كما أعلن "دزرائيلي" في اجتماع الحكومة يوم 27 مارس 1878 أن النمسا ستعمل على إيجاد تسوية للموقف في بلغاريا "وأن الخطر المنبعث من أرمينيا هو ما يجب الاحتراس منه"، ويجب أن يُقَابل حصول روسيا على باطوم Batum وقارص Kars وأردهان Ardahan باحتلال جزيرة أو موقع على شاطئ آسيا الصغرى يوازي وجود روسيا في أرمينيا، واعتبر "دزرائيلي" أن قبرص تشكل "مفتاح غرب آسيا" Cyprus was the key of western Asia، ويمكن أن يتم إعدادها لتكون مخزناً للسلاح وميناء، وأنها ملائمة للوثوب منها على الاسكندرونة فيما بعد[43].

بذلك تغير الموقف تغيراً قليلاً داخل مجلس الوزراء البريطاني بعد الأنباء عن إمكانية

(40) Hill. A History, p. 272-3; Zia. Kibris'nin, s. 18.

(41) Buckle, George Earle - Monypenny, William Flavelle. The Life of Benjamin Disraeli, Earl of Beaconsfield (London: John Murray, 1910-1920), Vol. 6, p. 1125; Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 211-4; Langer. European, p. 141-3

(42) Kurat. Henry, s. 79.

(43) Grant, J. A - Temperley, Harold. Europe in the Nineteenth and Twentieth Centuries 1789-1939 (London: Longmans, Green and Co., 1948), p. 382.

احتلال بريطانيا لقبرص باعتبارها "جبل طارق جديد" New Gibraltar، حيث خفت لهجة المعارضة ل"دزرائيلي" داخل المجلس، وأصبحوا أكثر تفهماً لموقفه من هذه الحرب وما ينجم عنها(44)، وهذا ما أدى بالحكومة إلى الموافقة على استقدام القوات العسكرية من الهند إلى مالطا ورصد الأموال اللازمة لأي مجهود حربي قد تقوم به بريطانيا، ولم يكن هناك خيارات أمام روسيا، فالمسألة نفسها كانت قصيرة، وأنه إذا ما استمرت روسيا باحتلال باطوم وأردهان وقارص أو أي منها، فإن الحكومة البريطانية ستدافع بالقوة العسكرية عن الولايات الآسيوية للدولة العثمانية ضد أي هجوم جديد على الأراضي العثمانية الأخرى، في الوقت الذي وعد فيه السلطان بريطانيا بإدخال الإصلاحات الضرورية والتنسيق فيما بين البلدين في الولايات الآسيوية لتوفير الحماية لهم(45).

قرار اختيار قبرص:

يمكن القول أن القرار الأخير باختيار قبرص كان قد اتخذ من 18 أبريل إلى 10 مايو 1878(46)، وكان "هوم" هو أول من طرحها من جديد على بساط البحث، حيث كان قد أشار إلى أهمية امتلاك بريطانيا لموقع في الشرق الأدنى له أهمية سياسية وعسكرية وبحرية وتجارية، فمن الناحية العسكرية رأي "هوم" أن يكون الموقع الذي ستحصل عليه بريطانيا موقعاً يعطيها مفاتيح آسيا الصغرى، ويصبح قاعدة عسكرية تفيد الجيش البريطاني في التصدي لأي هجوم معادي من ناحية القوقاز وهو بذلك يقصد الروس أو من منابع دجلة والفرات إلى الخليج العربي وآسيا الصغرى، ويكون هذا الموقع قادراً على الدفاع عن نفسه بقوة صغيرة، أما من الناحية البحرية فيجب أن يتوافر فيه ميناء جيد ومريح يمكن من خلاله تزويد السفن البريطانية بالوقود قرب خطوط المواصلات مع الهند، ومن الناحية التجارية، فإن البحث عن مكان في الشرق يقتضي أن يكون مكاناً صالحاً للتجارة وتخزين البضائع التي يجلبها التجار من المناطق المجاورة(47)، لذلك فقد اقترح "هوم" أول ما اقترح الاسكندرونة، حيث عملت وزارة الحربية والخارجية البريطانية على مناقشة الأمر، ثم اقترح "غاليبولي" بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى، ثم خلص "هوم" إلى القول بأن قبرص هي المكان الأصلح لإقامة القوات البريطانية، "فهي بحجمها وسكانها ومسائل الدفاع المتعلقة بها والأمور المتعلقة بالتجارة أصلح مكان؛ لأن من يمتلك قبرص يمتلك

(44) Buckle-Monypenny. The Life of Disraeli, Vol. VI, p. 298 – 9.
(45) Ibid, p. 298: Zia, Kibris'nin, s.31.
(46) Hill. A History, p. 276.
(47) Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 227 – 9

الإسكندرونة"[48] Whoever Holds Cyprus Holds Scanderoon رغم أن "هوم" لم يشر في رسائله إلى أهمية امتلاك قبرص بالنسبة للخليج العربي، أو أن امتلاك قبرص يمنع الهجوم على الخليج من جهة أرمينيا[49].

والحقيقة أن العديد من رجال السياسة والبحرية البريطانية كانوا يرون أهمية قبرص للسياسة الاستعمارية البريطانية، والتي كان من الممكن سقوطها في يد أي قوة أوروبية، ومن وجهة نظر البعض فإن قبرص ستصبح مكاناً ذا فائدة عظيمة، في حين كان البعض لا يزال يناقش بعض الأماكن الأخرى غير قبرص[50].

"سالزبوري" واختيار قبرص:

أما "سالزبوري" فقد عبر عن أهمية هذه المسألة فقال في 18 أبريل 1878 "إن التمسك باحتلال أي ميناء حربي من قبل بريطانيا يُعد كالتشبث والتمسك بجبل طارق"[51]، لكن "سالزبوري" كان يرى أن احتلال روسيا للمناطق الآسيوية للدولة العثمانية كان من أجل عقد اتفاق معها، كما كان يتعقد بأن حكومة بريطانيا لن تتوصل إلى اتفاقية بشأن قبرص أو غيرها بسهولة قائلاً: "أنا لست متأكداً بأن مجلس الوزراء سيقبل اقتراحاً كهذا"[52].

وفي أول رسالة من "سالزبوري"- بعد توليه وزارة الخارجية خلفاً لدربي- إلى ""لايارد"" ألمح "سالزبوري" في 24 أبريل 1878 أنه طالما أن الجُرح بين روسيا والدولة العثمانية لم يلتئم فإنه يقترح أخذ موقع ترابط فيه القوات البريطانية، وأن يكون هذا الموقع من أملاك الباب العالي، وبدأ "سالزبوري" بذلك يهيئ ذهن سفيره مجدداً إلى سياسة التعويض Compensation؛ أي بتعويض بريطانيا بشيء من أملاك الدولة العثمانية[53]، وفي اليوم نفسه أرسل "لايارد" تقريراً إلى "سالزبوري" بأن موجه غير عادية من الشعور المؤيد لبريطانيا كانت قد اكتسحت الدولة العثمانية ليس فقط من قِبل الشعب، بل ومن قِبل الموظفين الكبار في الدولة والجيش والذين لا يرون قتالاً ضد بريطانيا في حالة الحرب مع روسيا[54]، ولم يتأخر "سالزبوري" في التعبير عن شكره لجهود "لايارد" في هذه المسألة وغيرها، مؤكداً أن ما يجب أخذه من الدولة العثمانية يجب أن يكون لغاية استراتيجية من أجل الدفاع عن بريطانيا، مستنداً على أن مسألة الدفاع عن الدولة العثمانية سقطت

(48) Loc. Cit.
(49) Loc. Cit.
(50) Hill. A History, p. 272.
(51) Ibid, p. 279, Lee. Great, p. 75.
(52) Kurat. Henry, s. 77.
(53) Salisbury to Layard, 24 April 1878. F.O. 78-2786.
(54) Loc. Cit; Hill. A History, p. 282-3.

أمام الروس، لكن "لايارد" لم يكن يفكر بذات الطريقة، حيث أبدى عدم موافقته على آراء ومواقف "سالزبوري" هذه، حيث كان "لايارد" يعتقد بأن الرأي العام البريطاني لا يمكنه أن يعرف مواطن القوة الكامنة داخل الدولة العثمانية، وأنه يوماً ما ستظهر هذه القوة كنتيجة مباشرة للإصلاحات تحت مراقبة بريطانيا(55).

ولقد استطرد "سالزبوري" في شرح فكرة الاستيلاء على أراضٍ من الدولة العثمانية - كتعويض لها- إلى "لايارد" قائلاً: "بسبب نظام إدارة البرلمان ووجوب المحاسبة أمام الرأي العام فإنه لا يمكن معارضة توسع روسيا في الشرق والذي لا نعرف نتائجه السياسية، ولكن إذا كان الموضوع متعلقاً بقاعدة مثل جبل طارق؛ فإنه يجب تحقيق هذا المشروع بكل قوة"(56)، وكانت غاية "سالزبوري" بالأساس هي عدم مساعدة الباب العالي لتنفيذ الإصلاحات، بل انسحاب الأسطول البريطاني من بحر مرمرة إلى شرق البحر المتوسط، وأن يجمعها في الموقع الذي ستملكه بريطانيا فيما بعد، ولقد ازداد التأييد لهذا الرأي في بداية مايو 1878 بتأثير من "دزرائيلي"، ورغم أنه لا يريد ذلك؛ إلا أنه اتجه نحو فكرة قبول الاتفاق مع الدولة العثمانية(57)، وأكد "سالزبوري" ل"لايارد" أن بريطانيا إذا ما حصلت على معاهدة التحالف الدفاعي مع الدولة العثمانية فإن شرق البحر المتوسط "ضرورة مطلقة لا غني عنها والتي ستكون أقرب لليد من مالطا"(58)، كما أن "سالزبوري" كان يعتقد أنه لا يجب دخول الحرب ضد روسيا بسبب قارص وباطوم وأردهان؛ لأنه في حال عدم أخذ التدابير اللازمة للدفاع عن الأتراك، فإن هذا لن ينفع حتى بعد أخذ قبرص(59).

وفي 2 مايو 1878 أرسل "سالزبوري" إلى "لايارد" بأنه في حال قيام بريطانيا بعقد اتفاقية دفاعية لحماية أراضي السلطان في آسيا فإنه ستكون لديه شكوك في إمكانية قبول حكومة بريطانيا مثل هذا الاتفاق، وبالنسبة إليه فإنه يرى بأنه في حال الاتفاق؛ فإن ذلك لن يمنع روسيا من تجاوز حدودها فقط، بل سيمنعهم أيضاً من الزحف نحو غرب آسيا والتي كان "سالزبوري" يخاف وصول الروس إليها(60)، ورغم ذلك فقد أبدي "سالزبوري" اعتقاده بأنه سيتم التوصل لاتفاق مع

(55) Kurat. Henry, s. 80.
(56) Loc. Cit.
(57) Loc. Cit.
(58) Temperley, Harold - Penson, Lillian M. Foundations of British Foreign Policy, From Pitt 1872 to Salisbury 1902 (Cambridge: At the University Press, 1938), p. 460; Hill. A History, p. 276.
(59) Zia. Kibris'nin , s. 30.
(60) Loc. Cit.

الباب العالي؛ لأن الأمر بحاجة إلى السياسة البريطانية التي تفرّق بين أهمية وجود الدولة العثمانية في أوروبا ووجودها في آسيا من ناحية مصالح بريطانيا[61].

أما "دزرائيلي" فقد كتب إلى الملكة في 5 مايو 1878 فقال: "... إذا سُلّمت قبرص إلى جلالتك من قبل الباب العالي مقابل أن تقوم بريطانيا بالدفاع عن تركيا كضمان للدفاع عن الولايات الآسيوية من العدوان الروسي؛ فإن قوة بريطانيا في البحر المتوسط سوف تكون مطلقة في المنطقة، وإن إمبراطوريتك في الهند سوف تكون أكثر قوة ... إن قبرص هي مفتاح غرب آسيا"[62].Cyprus is the key of western Asia

والواقع أن "دزرائيلي" كان قد أبدي اهتماماً بقبرص منذ قيامة بتشبيهها بـــ"مفتاح الشرق" في الرواية التي كان قد كتبها في شبابه والتي ذكر فيها أهمية امتلاك قبرص في المستقبل[63].

أما "لايارد" فقد كان سعيداً برسالة "سالزبوري" التي استقبلها في الأسبوع الثاني من شهر مايو 1878، لأنه لم يبق هناك اختلاف فكري مهم بينهما[64]، خصوصاً أن "لايارد" كان يخشى ويتحاشى ضرر انتشار الروس في شرق الأناضول على تجارة بريطانيا في الهند[65].

تم التوصل في 10 مايو 1878 للشروط التي يمكن لبريطانيا أن تتحالف بها مع الدولة العثمانية، وأعلن "سالزبوري" أن بريطانيا تعارض مد حدود روسيا إلى أرمينيا، وأعلن أنه يأمل في امتيازات بريطانية مستقبلية في هذه المنطقة، وأما عن الشروط التي تراها بريطانيا ضرورية للتحالف مع الدولة العثمانية فقد أرسلها سالزبوري إلى لايارد، وهي:

**1**- أن يقيم الباب العالي حكماً ذاتياً في تركيا الآسيوية.

**2**- أن يتنازل عن قبرص لبريطانيا، وأن المسألة كلها متوقفة على تنازل روسيا عن الأراضي التي سيطرت عليها في أرمينيا[66].

كما تحدث "سالزبوري" إلى "لايارد" عن التأثيرات السلبية على سوريا والعراق والتي سينتج

---

(61) Kurat. Hanry, s. 81.

(62) Buckle-Monypenny. The Life Of Disraeli, Vol. VI, p. 291; Kurat. Henry, s. 82; Aksun, Ziya Nur. Osmanli Tarhi, Osmanli Devleti'nin Tahlilli, Tenkidli Siyasi Tarihi (Istanbul: Ötüken Neşriyat A.Ş. 1995), Cilt. 4, s. 329; Hill. A History, p. 171; Davis, Richard W. Disraeli (Boston: Little Brown and Co., 1976), p. 205; p. 205; Seton-Watson, R. W. Disraeli, Gladstone and the Eastern Question, A Study in Diplomacy and Party Politics (London: MacMillan and Co., 1935), p. 422-3.

(63) Aksun. Osmanli, Cilt. 4, s. 345.

(64) Loc. Cit.

(65) Kurat. Henry, s. 82.

(66) Lee. Great, p. 90; Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 269; Hill. A History, p. 283.

عنها احتلال روسيا لقارص[67]، رغم أن "سالزبوري" كان قد عبّر في السابق على أن قارص وباطوم ليستا مهمتان بحيث يجب على بريطانيا دخول حرب دموية من أجلهما[68].

وأشار "سالزبوري" في هذه الرسالة إلى أسس اتفاقية الدفاع عن الدولة العثمانية حيث قال: بأنه في حال استمرار الوضع على ما هو عليه "الآن" فإنه يوجد أمامنا أحد الخيارات من اثنين:

الأول: ترك الروس أن يفعلوا ما يشاؤون.

الثاني: احتلال تركيا من قبل بريطانيا.

كما أشار "سالزبوري" إلى أن كلا الشرطين من المستحيل تطبيقهما، وأضاف: "من الواضح أن اقتراح التحالف مع الدولة العثمانية ذو قيمة عالية للأتراك؛ لأن هذا سيضمن لهم أمن شواطئ بحر إيجه ومضيق البسفور، ويعطي للسلطان القدرة الإدارية عليهما أكثر وأفضل مما سيعطيهم الروس"[69].

كما أكد "سالزبوري" على "لايارد" بأن رسالته - في 10 مايو - لا تعتبر رسالة رسمية قائلاً له: "في السياسة الأوروبية تكون هناك تغيرات سريعة بشكل يجعل ما كتبته لك من الممكن ألا يتم حدوثه"[70]، ومع ذلك أشار "سالزبوري" في سياق الرسالة إلى أن بريطانيا لا تريد ترك السلطان في حالة ضعف مادي، لذلك فإن بريطانيا ستدفع مصاريف وتعويضات عن الجزيرة المقترح احتلالها وأنهم سيدفعون الإيراد اليومي لها[71]، الأمر الذي دفع "لايارد" إلى القول في مذكراته: "بأن رسالة "سالزبوري" هذه أصبحت دليلاً عملياً من أجل تفسير سياسة حكومة بريطانيا في اللقاءات المتعاقبة مع الدولة العثمانية"[72]، لكن وحتى ذلك الوقت كان "سالزبوري" ينتظر رد حكومة روسيا بشأن قضية الحصون الأرمنية، والتي ترى بريطانيا بأن روسيا ملزمة بالانسحاب منها[73].

ولقد ذكر "لايارد" في ذلك الوقت بأنه لا يزال يعتبر بأنه لا يوجد أي تقدم إضافي في مفاوضات التحالف مع الباب العالي، كما أكد أنه لم يبلغ السلطان عبد الحميد بالعبارات شديدة اللهجة الواردة في رسالة "سالزبوري" يوم 10 مايو وذلك للعلاقات الحسنة والصديقة بينهما

(67) Zia. Kibris'nin, s. 32.
(68) Ibid, s. 30.
(69) Ibid, s. 32.
(70) Loc. Cit.
(71) Loc. Cit.
(72) Loc. Cit.
(73) Hill. A History, p. 283.

وبسبب حساسية الوضع[74]، في حين استمرت محاولات "سالزبوري" من أجل استكمال المفاوضات الخاصة بقبرص من ناحية، وإعطاء الضمانات للدولة العثمانية من ناحية أخرى بأنهم سيعترضون على مطالب روسيا في الأراضي العثمانية في آسيا مع توضيح أهمية التوقيع على اتفاقية التحالف بين البلدين، وكانت جهود "سالزبوري" من أجل التوقيع على هذا الاتفاق تشبه إلى حد بعيد التحذير أكثر منه إثبات لحسن النية التي كان يبديها[75].

ولقد أرسل "سالزبوري" إلى "لايارد" برقيتين جديدتين يوم 14-15 مايو، طالب فيها مجدداً بالتوقيع على الاتفاق مع الباب العالي في حال إتمامه، وفي البرقية الثانية والتي جاءت نفس الليلة، أعطى "سالزبوري" تعليماته إلى "لايارد" قائلاً: "ابذلوا كل ما بوسعكم وأصروا على أهمية فرض الشروط –البريطانية- واشرحوا للسلطان أن هذا الاتفاق سيحقق الأمن في الأناضول، وإذا كان السلطان يريد أن يرى استمرار النية الحسنة لبريطانيا؛ فعليه قبول المعاهدة دون تردد"[76].

وفي رسالة أخرى يوم 16 مايو أوضح "سالزبوري" ل"لايارد" أهمية قبرص بالنسبة لبريطانيا، وذلك من أجل القضاء على مخاوف بريطانيا من روسيا وغيرها والخاصة بإمكانية التوسع في المناطق الآسيوية، مؤكداً أن على الدولة العثمانية أن تسمح لبريطانيا باحتلال قبرص من أجل حماية المناطق الآسيوية وسوريا باعتبار ذلك خطوة ضرورية لصد روسيا[77].

أسباب وقوع اختيار بريطانيا على قبرص:

تكمن أهمية قبرص في أنها تبعد 260 ميلاً عن بورسعيد، و60 ميلاً عن الشواطئ السورية، و40 ميلاً عن أقرب نقطة من قارة آسيا، كما أنها ثالث أكبر جزيرة في البحر المتوسط[78].

لذلك فقد حُسِمت الأمور تماماً في بريطانيا حول الخلاف الكبير على المنطقة التي سيقع عليها الاختيار لتكون قاعدة بحرية إضافية إلى جانب مالطا، حيث قرر "دزرائيلي" ووزير خارجيته "سالزبوري" أن يسلكوا طريقهم ويتخذوا قرارهم النهائي باختيار قبرص دون سواها[79].

ولكن يبقى السؤال دائماً: لماذا كان اختيار قبرص دون غيرها من قِبَل رجال السياسية والبحرية البريطانية؟

(74) Zia. Kibris'nin, s. 33.
(75) Loc. Cit.
(76) Kurat. Henry, s 82.
(77) Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 269.
(78) Bolitho, Hector (ed). The British Empire (London: B.T. Batsford, 1948), p. 138.
(79) Hill. A History, p. 275.

يمكن القول في ذلك إن مسألة اختيار قبرص كانت قد نُسِبَت إلى مبادرة من "دزرائيلي"[80] لكن السيدة "سيسل" Lady Cecil قدمت بعض الأدلة على أن "سالزبوري" والكولونيل "هوم" كانا هما المسؤولَين عن هذه الفكرة[81]، أو على الأقل كان لهم جزء هام جداً في جعل القرار النهائي هو احتلال قبرص دور غيرها من المناطق في الشرق الأدنى[82].

كما يمكن القول إن فكرة احتلال قبرص لم تكن نتيجة لتوسع روسيا الإقليمي على حساب الدولة العثمانية فقط؛ وإنما عن تخطيط مسبق منذ أن أرسلت حكومة بريطانيا الكولونيل "هوم" ليبحث سُبل تعزيز وسائل الدفاع عن إستانبول وضواحيها ضد القوات الروسية، حيث بدأ بتكليف من حكومته القيام باستعراض وزيارة العديد من الموانئ على سواحل وجزر الحوض الشرقي للبحر المتوسط والتي لها أهمية سياسية وعسكرية تخدم المصالح البريطانية العليا، حيث تم في النهاية اختيار قبرص[83].

والحقيقة أن الأهمية الاستراتيجية والجغرافية لقبرص لم تغب يوماً عن الحكومة البريطانية، حيث تعتبر قبرص جزءاً من الشرق، كما أنها قريبة في حال أي تدخل أو توسع روسي من أرمينيا تجاه نهري دجلة والفرات أو الشواطئ السورية، كما أنها قريبة من البلقان وما فيها من مشاكل بين المسلمين واليونان والأرمن والأقليات العرقية والمذهبية الأخرى[84]، بالإضافة إلى تأمين طريق الهند وإبقاء أنظارهم على المضائق العثمانية واستانبول والأناضول للحيلولة دون أطماع روسيا فيها، وكذلك حماية مصر وقناة السويس من أي احتلال[85].

لذلك فقد توفرت في قبرص إمكانية إقامة موقع متحكم في شرق البحر المتوسط عبر قاعدة بحرية للتحكم في المناطق السابقة إلى جانب وجود اعتقاد بريطاني بأن آسيا الصغرى ذات أهمية كبرى بالنسبة لطريق الهند، وأن بريطانيا لا يمكنها الاعتماد على مساعدة الآخرين بشأن ذلك الأمر مثلما هو الحال في الجانب الأوروبي من الدولة العثمانية[86]، بالإضافة إلى أن قبرص ستكون ذات أهمية كبيرة في الحفاظ على المصالح البريطانية في الخليج العربي، التي كان من

---

(80) Buckle-Monypenny. The Life of Disraeli, Vol, VI, p. 299; Lee. "A Memorandum", p. 235.
(81) Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 214-5, 265-71; Lee, "A Memorandum", p. 235
(82) Lee. "A Memorandum", p. 235.
(83) Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 270.
(84) Buckle-Monypenny. The Life of Disraeli, Vol. VI, p. 300-4; Lee. "A Memorandum", p. 241.
(85) Şaşmaz, Musa. "The Legitimacy of the Emergence of the Armenian Question", Osmanli Tarih Araştirma ve Uygulama Merkezi Dergisi OTAM, Ankara Üniversitesi, Sayi.8, 1977, p. 332; Lee. "A Memorandum", p. 238-41; Hill. A History, p. 270.
(86) Langer. European, p. 137-8.

المفترض أن مد خط حديد الاسكندرونة سيقدم تسهيلات في سبيل ذلك[87]، كما أنها ستكون ذات أهمية كبيرة لمصالح بريطانيا التجارية في سوريا وجنوب شرق آسيا[88]، إضافة إلى أن قبرص موجودة في طريق الأسواق التجارية الدولية التي تُنمي الاقتصاد البريطاني[89]، كما أن احتلال جزيرة قبرص ووجود بريطانيا فيها مقابل الدفاع عن الدولة العثمانية سيؤدى إلى تقوية التأثير المعنوي لبريطانيا في بلاد الشرق وخاصة في الهند، بالإضافة إلى أن "دزرائيلي" أراد الظهور بمظهر الحامي "لخليفة المسلمين" والدولة العثمانية ضد روسيا ليكسب تأييد مسلمي الهند الذين يشكلون قوة كبيرة تَجِل السلطان وتنظر إليه كخليفة للمسلمين، كذلك للحد من أي نفوذ محتمل لألمانيا في الشرق[90]، كما أن بريطانيا كانت تريد بديل ثمين من الدولة العثمانية مقابل قيامها بمعارضة المطامع الروسية[91].

وإلى جانب ذلك كانت بريطانيا ترغب في منطقة مفيدة للاقتصاد البريطاني، حيث ستكون مخزناً للتجارة والمنتجين في الشرق الأوسط، كذلك من أجل إيجاد قوات بريطانية فيها تكون جاهزة ومستعدة لصد الهجمات الروسية من جهة القوقاز ودجلة والفرات[92]، لقد كانت بريطانيا تعمل على تأمين مداخل البحار والمحيطات للحفاظ على المستعمرات البريطانية في الشرق، وكان هذا الأمر يتضمن السيطرة على قبرص إلى جانب جبل طارق وعدن، وهي بذلك تستطيع التحكم في البحر المتوسط والبحر الأحمر ومداخلهما، كما أنها بذلك قد أَمّنت الطريق من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي[93]، وبكلمة أخرى فقد أصبحت بريطانيا تسيطر على ثلاث قواعد رئيسية في البحر المتوسط، واحدة في غربه وهي "جبل طارق" والثانية في وسطه وهي جزيرة "مالطا" والثالثة في شرقه وهي جزيرة "قبرص"[94].

ولقد أشار "دزرائيلي" لكل هذه المسائل في حديثة لمجلس اللوردات في 18 مايو 1878 حيث قال: "نحن لا نرغب أيها اللوردات في تحمل مسؤوليات لا داعي لها، ولكن هناك مسؤولية لا نستطيع الهروب منها وهي مسؤولية أن لا نترك لمن يأتي بعدنا إمبراطورية ضعيفة أو محطمة،

(87) Hill. A History, p. 272.
(88) Ibid, p. 280.
(89) Aksun. Osmanli, Cilt. 4, s. 345.
(90) Zia. Kibris'nin, s. 25; Buckle-Monypenny. The Life of Disraeli, Vol. VI, p. 300-4; Lee. "A Memorandum", p. 241.
(91) Kocabaş, Süleyman. Sultan II. Abdülhamid Şahsiyeti ve Politikasi (Istanbul: Vatan Yayinlari, 1995), s. 89.
(92) Kurat. Henry, s. 82.
(93) Bolitho. The British, p. 133.
(94) Safwat. Tunis, p. 211-2,

فنحن في حصولنا على قبرص لم نتحرك فقط من أجل مصالحنا في البحر المتوسط، بل وبالنسبة للهند أيضاً، لذلك فقد أخذنا خطوة يُعتقد أنها ضرورية لتدعيم إمبراطوريتنا وحفظ السلام. إذا كان هذا اعتبارنا الأول فإن خطوتنا الثانية هي تطوير الدولة العثمانية"[95]، لكن بعض الوزراء في الحكومة مثل "ليونز" Lyons حذر من المشاكل التي قد تحدث عقب اختيار قبرص[96].

الجهود البريطانية من أجل الحصول على قبرص:

تلقى "لايارد" مجدداً تعليمات من حكومته ليلة الجمعة 24-25 مايو من أجل اقتراح مسألة التحالف بين البلدين على السلطان[97]، وإعادة ما كان اقترحه "سالزبوري" على السلطان من جديد، وكان السبب الذي جعل حكومة بريطانيا تقوم بالطلب من سفيرها أن يعرض على السلطان مقترحات "سالزبوري" هو أن "شوڤالوف" Shuvalov -السفير الروسي في لندن- قد عاد من العاصمة الروسية سان بطرسبرج يوم 22 مايو، مؤكداً أن روسيا لن تتنازل عن فتوحاتها في أرمينيا، وكان على "لايارد" تحذير السلطان بأنه إذا لم تستجب الدولة العثمانية للتحالف مع بريطانيا؛ فإن الأخيرة لن تستطيع المضي بالمفاوضات قدماً معها، وأن حصار استانبول وتقسيم الدولة العثمانية سوف يكونا النتيجة العاجلة لذلك، وأن القرار يجب أن يُتخذ خلال 48 ساعة، وطلبت حكومة بريطانيا رداً عاجلاً من السلطان حول هذا الأمر[98].

كان التهديد البريطاني للدولة العثمانية له مقاصد واضحة وجدية بشأن المصالح البريطانية[99]، لذلك فقد كانت مهمة "لايارد" صعبة جداً، وفي يوم 25 مايو قابل "لايارد" السلطان حيث وجده متضايقاً ومرتبكاً بعد اكتشاف السلطات العثمانية مؤامرة لخلعه عن الحكم قبل أيام من ذلك، وما إن تكلم "لايارد" بصوت منخفض حتى نهض السلطان وقال إنه مريض، وأنه لا يستطيع أن يسمع أكثر من ذلك، لكن "لايارد" أصرّ على البقاء في حضرة السلطان قائلاً بأن لديه الكثير مما يريد قوله، وأنه جاء بتعليمات من حكومته للتحالف مع الدولة العثمانية لإنقاذ السلطان وأملاكه من العدوان الروسي مستقبلاً[100]، مؤكداً أنه من المستحيل من أجل القيام بذلك نقل الأسطول البريطاني من مالطا ولندن لوقف تهديدات روسيا، وأن بريطانيا بحاجة إلى جزيرة قبرص لاستخدامها مستودعاً من أجل خدمة هذا الهدف[101].

(95) Buckle-Monypenny. The Life of Disraeli, Vol, 2, p. 1224-8.
(96) Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 270.
(97) Hill. A History, p. 283.
(98) Lee. Great, p. 84.
(99) Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 271.
(100) Lee. Great p. 84.
(101) Kocabaş. Sultan, s. 89.

ولقد كان "لايارد" حذراً في كلامه مع السلطان الذي كان يفرك يديه متوتراً ومعبراً عن وجهه نظره فيما يجرى من أحداث منذ قيام الدولة العثمانية حتى لحظة لقائه مع السلطان[102]، ويذكر البعض أن النتيجة كانت موافقة السلطان "المبدئية" على منح قبرص لبريطانيا، حيث فَوّض وزرائه للتفاوض مع بريطانيا، لذلك لم يقم "لايارد" بإبلاغ الدولة العثمانية إنذار حكومته لعدم وجود مجال لحدوث ذلك بعد الموافقة المبدئية للسلطان[103]، كما لم يستخدم "لايارد" توجيه الإنذار أثناء اجتماعه مع الصدر الأعظم "صِدّيق باشا" ولا مع ناظر الخارجية "صفوت باشا"، حيث قال لهما: "إن الأموال البريطانية سوف تتدفق، وسوف يُساعد ذلك في ثراء الامبراطورية العثمانية، لكن بريطانيا تطلب من الدولة العثمانية إعطائها قبرص مقابل ذلك"[104].

والواقع أن السلطان كان قد قاوم مطالب "لايارد" هذه، مؤكداً أنه ليس له الحق في إعطاء أي قطعة من الأرض لبريطانيا، وشدّد بأسلوبه الصارم بأن بريطانيا لن تساعد الدولة العثمانية من أجل تعديل اتفاقية "أيا استيفانو"؛ إلا أن السلطان وجد نفسه مضطراً فيما بعد -بسبب التهديد الروسي- وقَبِل مبدأ وجود إدارة بريطانية في قبرص من قبيل التعبير القائل: "من يسقط في البحر يتمسك بالثعبان"[105].

أما "هوم" فقد أرسل في 26 مايو 1878 تقريره الذي تضمن مشروع قبرص إلي "لايارد"، في حين أبدي "سالزبوري" اهتماماً بتعهدات الباب العالي من أجل تنفيذ الإصلاحات التي ستحافظ علي مصالح المسيحيين في آسيا، وهو ما دخل فيما بعد ضمن شروط اتفاقية قبرص بين البلدين[106]، ولقد أرادت حكومة بريطانيا أن تكون اتفاقية قبرص المزمع عقدها مختلفة تماماً ومنعزلة عن اتفاقية باريس 1856، بحيث أنه في حال موافقة الدولة العثمانية يكون لبريطانيا واجب الدفاع عنها[107].

ولقد سمع الرأي العام في بريطانيا بقبول السلطان اقتراح قبرص مساء يوم الأحد 26 مايو، ويُشار في هذا السياق إلى أن السلطان أراد أن يشاركه المجلس الخاص المسؤولية بشأن التوقيع على اتفاقية قبرص والتي قُوبلت مبدئياً ببعض الاعتراضات أثناء عملية التصديق عليها من قبل طرف حكومة محمد رشدي باشا[108].

وفي 27 مايو بدأت صحيفة التايمز" بنشر "تخمينات" بخصوص حماية بريطانيا لأراضي

(102) Kocabas. Sultan, S. 89.
(103) Lee. Great, p. 84.
(104) Loc. Cit.
(105) Kocabas. Sultan, s. 95.
(106) Kurat. Henry, s. 83; Hill. A History, p. 283.
(107) Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 261; Zia. Kibris'nin, s. 30.
(108) Zia. Kibris'nin, s. 38.

الدولة العثمانية في آسيا، لكن مراسل التايمز لم يُعط إيضاحات كافية عن الموقف بشأن قبرص كالمراسلين الآخرين الذين باتوا متأكدين من أن أهداف بريطانيا في قبرص مناسبة تماماً لمصالحها، واكتفي مراسل التايمز بمعلومات عن موانئ قبرص وقيمتها الاستراتيجية والإقليمية[109].

أما في جانب الآخر فقد أصر "سالزبوري" على عدم الاشتراك في مؤتمر برلين المنوي عقده –من أجل تعديل اتفاقية أيا استيفانو- حتى يتم إيجاد ضمانات بعدم احتلال روسيا لاستانبول وذلك خلال المفاوضات السرية بين بريطانيا وروسيا بشأن التوصل لاتفاق سري بينهما لتسوية المسألة المتعلقة بالدولة العثمانية، وحتى 29 مايو كان شوفالوف يظن أنه حقق النصر على الدولة العثمانية، لكن الوضع لم يكن مثلما ظن، حيث نجح "شوفالوف" في تهدئة العلاقات بين روسيا وبريطانيا، لكنه لم يكن يعلم شيئاً بشأن المباحثات السرية بين بريطانيا والدولة العثمانية بشأن احتلال قبرص وعقد معاهدة تحالف بينهما[110].

أما المجلس الخاص العثماني فقد عقد اجتماعه يوم 29 مايو وحدد جدول أعماله بمسألة إعطاء إدارة قبرص لبريطانيا في حال توسع روسيا في آسيا العثمانية مع محاولة إدخال العديد من الشروط لصالح الدولة العثمانية، لكن "لايارد" أجابهم بأنه لا يملك صلاحيات القيام بالموافقة علي ذلك الأمر[111]، خصوصاً فيما يتعلق بإعطاء امتيازات دينية للمسلمين القاطنين في قبرص، لكن "لايارد" أكد لحكومته في اليوم نفسه -29 مايو- أن إعطاء امتيازات دينية للمسلمين هناك هو لمصلحة بلاده؛ لأنهم سيكسبون بذلك حب مسلمي قبرص والهند، كما أنه من المحتمل قيام سكان قبرص المسلمين بمقاومة الوجود البريطاني عند قدومهم إليها، لذلك فإن القيام بالترضيات والتعويضات لم تكن بالشيء الكثير من وجهة نظر الدولة العثمانية[112].

ومهما يكن من أمر فإنه يُفهم من رسالة "لايارد" السابقة أن بريطانيا كانت تعتبر أن الاتفاق المزمع عقده بشأن قبرص كاتفاق سيعطيهم حق احتلال الجزيرة، ولكن الاتفاق المبدئي المزمع عقده كان سيعطي بريطانيا حق إدارة الجزيرة فقط وليس احتلالها[113].

الاتفاقية السرية البريطانية الروسية 30 مايو 1878م:

كانت روسيا قد أبدت مرونة أكثر مما أبدت بريطانيا بشأن المفاوضات السرية بينهما من أجل

(109) Ibid, s. 56.
(110) Kurat. Henry, s. 111
(111) Zia. Kibris'nin, s. 38
(112) Ibid ,s. 41
(113) Loc. Cit.

التوصل لتفاهمات مشتركة بشأن الدولة العثمانية في مؤتمر برلين المقبل، ولم يبق هناك سبب ل"سالزبوري" ليبقي على إصراره فيما يتعلق بالمسائل العسكرية، وفي 30 مايو أمضى "سالزبوري" وشوفالوف المعاهدة بين بريطانيا وروسيا والتي تتضمن 11 مادة[114]، ولقد تركت هذه الاتفاقية السرية لروسيا معظم مكاسبها في أرمينيا العثمانية بما تمثله من تهديد كبير على مصالح بريطانيا، حيث إن أمراً كهذا من شأنه جعل الطريق ممهداً لتقدمها نحو شرق الأناضول وصولاً إلى البحر المتوسط أو الخليج العربي، والذي سيكون بمثابة هجوم شديد الحدة على هيبة بريطانيا في آسيا، ويعطي روسيا السيطرة على إيران وربما أفغانستان، علاوة على تهديده طرق المواصلات الرئيسية لبريطانيا مع الهند[115].

والاتفاق البريطاني الروسي عبارة عن ثلاث مذكرات تبادلها كل من "سالزبوري" وشوفالوف، ففي المذكرة الأولى أعربت روسيا عن قبولها إخضاع كل بنود معاهدة سان استيفانو للمناقشة والتعديل، بما فيها اعتراض بريطانيا على بلغاريا الكبرى، حيث تم الاتفاق على تقسيمها بعد تقليصها إلى جزأين؛ هما: شمال البلقان وجنوب البلقان على أن يبقى لبريطانيا حق الاعتراض على الأمور التي تراها خطيرة للغاية على مصالحها في هذا الشأن، كما نص الاتفاق على أن لا تعترض بريطانيا على المواد الواردة في معاهدة سان استيفانو والتي لم تطالها التعديلات[116].

في ذلك الوقت كشفت الصحف البريطانية عن الاتصالات السرية بين بريطانيا وروسيا والنمسا في 30 مايو قبل عقد مؤتمر برلين، مما أثار الكثير من الشكوك من قبل الدولة العثمانية تجاه بريطانيا وتوجهاتها، الأمر الذي دفع "لايارد" للقول بأن الباب العالي يشك في إمكانية تقسيم الدولة العثمانية، مما دفع بهم إلي تأجيل إصدار فرمان منح قبرص لبريطانيا يوماً بعد يوم[117].

اتفاقية قبرص 4 يونيه 1878:

أدت الجهود التي بذلتها الحكومة البريطانية بزعامة "دزرائيلي" إلي التوقيع على الاتفاق الخاص بقبرص مع الباب العالي من خلال "لايارد" وصفوت باشا في إستانبول في الساعة 9 مساءً من يوم 4 يونية 1878 والذي تمت الموافقة عليه من قبل المجلس الخاص أيضاً، وهو ما

(114) Kurat. Henry, s. 111; Anderson, M.S. The Eastern Question 1774-1923, A Study in International Relations (London: MacMillan, 1972), p. 208; Marriott, J.A.R. England Since Waterloo (London: Methuen & Co., 1913), p. 462.

(115) Anderson. The Eastern, p. 208.

(116) Anderson, M.S. The Great Powers and the Near East, 1774-1923, Documents of Modern History (London: Edwards Arnold, 1970), p. 103-5.

(117) Zia. Kibris'nin ,s. 41

**بريطانيـــا العظمـــى واتفاقيـــة قبـــرص 1878**

عُرف باتفاقية قبرص Cyprus Convention أو الاتفاق البريطاني العثماني[118] Anglo Turkish Convention وذلك بعد ضمان الدولة العثمانية لحقوقها الدينية والقانونية للسلطان والمسلمين علي قبرص، ولقد أُرسل فرمان السلطان إلي مساعد الوزراء صادق باشا ووالي الأرخبيل ثم إلي متصرف قبرص وإلي نائب المفتي في قبرص وإلي أعضاء مجلس المبعوثان في 1 يوليه 1878[119]، وبعد توقيع اتفاق قبرص يوم 4 يونية بقليل تم الإعلان عن صفوت باشا صدراً أعظم[120].

وتنص مسودة اتفاقية قبرص والتي عرفت أيضاً "بمعاهدة التحالف الدفاعي" Convention of Defensive Alliance علي:

المادة الأولى: أنه إذا كانت روسيا تستولي علي باطوم أو أردهان أو قارص أو إحداهما وأرادت الاستيلاء بعد ذلك علي بعض المناطق الواقعة في آسيا التابعة للدولة العثمانية كما تم تقريره في معاهدة الصلح؛ فإن بريطانيا تتعهد بالتعاون مع الدولة العثمانية من أجل حماية تلك الأراضي بقوة السلاح مقابل أن تعد الأخيرة بريطانيا بإجراء الإصلاحات اللازمة في ممتلكاتها، والتي سيتم الاتفاق علي كيفية إجرائها فيما بعد، وأن تحمي المسيحيين وغيرهم من الرعايا القاطنين في بلادها، وبهدف تمكين بريطانيا من القيام باتخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة لإجراء ما تعهدت به؛ فإن بريطانيا ستقوم بالاستيلاء علي جزيرة قبرص وتدير أمورها.

المادة الثانية فقد نصت علي تحديد إمضاء هذه المعاهدة من قبل الدولتين المذكورتين بعد إعداد هذا الاتفاق بشهر واحد أو أقل إذا أمكن.

وبذلك فُتحت حقبة جديدة في تاريخ قبرص بل وفي تاريخ العلاقات العثمانية البريطانية، في حين بقي حاكم قبرص العثماني في موقعه لمدة خمسة أشهر قادمة حتى تم احتلال قبرص عملياً من

---

(118) F.O. 27-2312, Lyons to Salisbury, 12 Aug. 1878, No. 635; Bolitho, Hector. The Reign of Queen Victoria (London: Collins, 1949)., p.264; Yilmaz, Ömer Faruk. Belgelerle, Osmanli Tarihi (Istanbul: Osmanli Yayinevi, 1999), 4., s. 68-9; Shaw, Stanford J & Shaw, Ezel Kural. History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Reform, Revolution and Republic, The Rise of Modern Turkey 1808-1975 (Cambridge: Cambridge University Press, 1977), Vol. 2, p. 190; Oğuz, Burhan. Yüzyillar Boyunca, Alman Gerçeği ve Türkler (Istanbul: Can Matbaa, 1983), s. 111; Hill. A History, p 300-1; Aksun. Osmanli, Cilt. 4, s. 348; Davison. Roderic H. Turkey (New Jersey: Englewood Cliffs, 1968), p. 89-92; Storrs, Ronald. Orientations (London: Nicholson & Watson, 1943), p. 46.

(119) Hill. A History, p. 284.

(120) Zia. Kibris'nin, s. 38.

قبل بريطانيا[121]، حيث كان الحكم العثماني لقبرص يُعتبر من أفضل الإدارات داخل المقاطعات العثمانية[122]، ورغم أن الدولة العثمانية أبقت علي حاكميتها لقبرص؛ إلا أن هذه المسألة فقدت أُسسها فيما بعد، لتصبح جزيرة قبرص جزءاً مكملاً ومتمماً لمستعمرات الامبراطورية البريطانية[123].

ويعد اتفاق قبرص هذا بمثابة نصر سياسي لسالزبوري بعد وقت قليل من توليه وزارة الخارجية خلفا لدربي، وهو ما أفاده مستقبلاً في الحياة السياسية البريطانية[124]، ومهما يكن من أمر فإن حكومة بريطانيا بزعامة "دزرائيلي" كانت تنظر إلي المسألة من وجهة نظر أوروبية، حيث كانت ترى أنها انتصرت في مجال المنافسة علي روسيا وألمانيا، حيث أراد "دزرائيلي" لبريطانيا أن يكون لها دور قيادي أكبر من مسألة تدعيم الدولة العثمانية، وهو ما أعلنت بريطانيا عنه كأحد أهدافها السياسية من وراء أخذها قبرص[125].

أما بالنسبة للدولة العثمانية فلم يكن اتفاق قبرص يتضمن كلمة "ضمانات" Guarantee تعطي لهم، بل كانت بريطانيا قد استعاضت عنها بكلمة "التزام" من قِبَلِها للدفاع عن الولايات الآسيوية من الدولة العثمانية في حال الاعتداء عليها من قبل روسيا[126].

أما فيما يتعلق بالعمل علي توقيع اتفاقية قبرص رسمياً فقد أخذت وقتاً طويلاً، حيث كان صفوت باشا مصراً علي قبول بعض المواد التي تمت مناقشتها في المجلس الخاص العثماني، وهي:

1. أن تؤدي المحاكم الشرعية وظيفتها كما في الماضي في الأمور المتعلقة بحقوق المسلمين.
2. أن لا تطالب بريطانيا بضمانات عند انسحابها من الجزيرة.
3. أن يتم تعيين الموظفين في الأوقاف والمساجد والمكاتب وأراضي المساجد والقبور والأملاك الأخرى من قبل وزارة الأوقاف، علي أن يشارك الموظفون الإنجليز في إدارتها مع هؤلاء الأشخاص[127].

(121) Hill. A History, p. 262.
(122) Ibid, p. 264.
(123) Bolitho. The British, p.141.
(124) Penson, Lillian M. "Obligations by Treaty: Their Place in British Foreign Policy 1898-1914" Within: Studies in Diplomatic History and Historiography (ed), by. A.O. Sarkissian, (London: Longmans, Green, 1961), p.79.
(125) Lee. Great, p.123.
(126) Penson. "Obligations", p. 79.
(127) Kurat. Henry, s. 88.

ولقد قبل "لايارد" الشرط الأول، ثم أعلن "سالزبوري" في برقية له في11 يونيه 1878 قبول الشرط الثاني وعدم قبول الشرط الثالث لعدم وضوحه[128]، ورغم ذلك فقد ظل صفوت باشا يماطل في هذه المسألة، حيث أبلغ الأخير "لايارد" لزوم صدور فرمان سلطاني بشأن مسألة إعطاء وانتقال بعض أراضي الدولة، وأنه لا يمتلك الصلاحيات والقدرة علي القيام بهذا الأمر[129].

الاتفاقية الملحقة باتفاقية قبرص 1 يوليه 1878:

أدت الأحداث السابقة وطول أمد المحادثات حول قبرص إلي قيام "لايارد" بالقول ل"سالزبوري" في 26 يونية بأنه يوجد تشرذم كبير في المسألة لدرجة أنه من المستحيل المحافظة علي المعلومات المتعلقة بهذا الأمر، وأن البعض يشك بأن بريطانيا ستقوم باحتلال قبرص وأنه لا يُعرف فيما إذا كانت أسرار الاتفاق قد خرجت عن السيطرة أم لا[130].

وفي 26 يونيه جاءت تعليمات جديدة من "سالزبوري" إلي "لايارد" للتحرك؛ لأن إمضاء السلطان علي الفرمان من الممكن أن يتأخر، وأثناء ذلك صدر قرار من الصدر الأعظم إلي حاكم قبرص بتسليم إدارة الجزيرة إلي بريطانيا بعد موافقة "لايارد" وقبول شروط الصدر الأعظم في 1 يوليه، حيث قام "لايارد" بإخبار "هورنبي" الذي كان حينها في جزيرة "كريت" كي يتوجه من أجل تسلم إدارة قبرص، لذلك فقد طلب منه القيام بإرسال سفينة علي وجه السرعة لأخذ فرمان الصدر الأعظم من إستانبول والعودة به إلي قبرص[131].

وكانت هذه الاتفاقية الجديدة في 1 يوليه قد ألحقت باتفاقية التحالف الدفاعي -اتفاقية قبرص- وجاء فيها البنود الستة التي اقترحها الصدر الأعظم، وهي:

1. أن يبقي في الجزيرة محكمة شرعية يناط بها النظر في المصالح الدينية للمسلمين في الجزيرة.
2. أن يقوم الباب العالي بتعيين موظفي الأوقاف، وسيشارك ممثل بريطاني في إدارة الأملاك والعقارات والجوامع والمساجد والمقابر والمدارس والمكاتب وغيرها من مسائل الإدارة المدنية في الجزيرة.
3. بعد الانتهاء من المصاريف اللازمة التي ستقوم بريطانيا بصرفها علي الجزيرة يتم إرسال ما

(128) Loc. Cit.
(129) Kurat. Henry, s. 90
(130) Zia. Kibris'nin, s. 39
(131) Kurat. Henry, p. 90.

بقي من الضرائب السنوية إلي الباب العالي، وهي حوالي 22963 كيس؛ أي ما يعادل 11.468.000 قرش، أما أملاك الدولة وأملاك السلطان فتكون معفاة من الضرائب.

**4.** أن يكون الباب العالي حراً في بيع أو تأجير أملاكه وأراضيه وغيرها من العقارات.

**5.** تستطيع حكومة بريطانيا شراء الأراضي الفارغة من أجل تطوير الخدمات الاجتماعية.

**6.** عندما تعيد روسيا قارص والأراضي المحتلة شرق الأناضول للدولة العثمانية تقوم بريطانيا بالانسحاب من قبرص وتكون المعاهدة المذكورة الموقعة في 4 يوليه منسوخة وملغاة[132].

كما اقترح البعض إبقاء 100 من الجنود العثمانيين الجيدين ليكونوا كقوات شرطة عسكرية، لكن هذا الأمر لم يتم الموافقة عليه[133].

ورغم أن مسألة الاتفاق علي قبرص كانت سرية، إلا أن صحيفة "جلوب" Globe البريطانية قامت في الأسبوع الثالث من مؤتمر برلين بتفجير قنبلة سياسية عندما قامت بنشر تفاصيل الاتفاق السري بين بريطانيا وروسيا، وكانت الصحيفة قد اشترت نسخة من هذا الاتفاق من كاتب على الآلة الكاتبة بوزارة الخارجية، وكان تأثير ذلك كبيراً علي مشاعر الرأي العام البريطاني وأثار موجة من الاستياء العارم في المجتمع السياسي والمدني البريطاني، في حين كان اتفاق بريطانيا مع الدولة العثمانية لا يزال سرياً، حيث لم يكن هناك من وجهة نظر الرأي العام في بريطانيا أي تعويض يوازي احتلال روسيا لمناطق آسيوية من الدولة العثمانية، لذلك فقد قامت هناك ضجة سياسية، حتى أن مندوبي الدول في مؤتمر برلين حاولوا الرجوع عن اتفاقاتهم[134]، وهذا ما أصاب "سالزبوري" بالغضب والريبة من مكائد روسيا[135]، لكن هذا الأمر لم يستمر طويلاً حيث قامت صحيفة الديلي تلغراف Daily Telegraph بفضح اتفاق قبرص الموقع بين بريطانيا والدولة العثمانية مما أربك الحكومة البريطانية في علاقاتها بالدول الأوروبية وخصوصاً فرنسا وروسيا، مما قد يعرضها لاحتجاجات تعرقل سياستها، لكن هذا الأمر تم بعد التوقيع علي معاهدة برلين[136]، ورغم ذلك كانت بريطانيا تعمل من أجل اتخاذ الإجراءات اللازمة من أجل منع أي

(132) Kurat. Henry, s. 91; Hill. A History, p. 301-2.

(133) Maurice, Sir F - Arthur, Sir George. The Life of Lord Wolseley (London: William Heinmann, 1924), p. 101.

(134) Maurois, Andre. Disraeli, A Picture of the Victorian Age, Translated by, Hamish Miles (London: John Lane the Bodley Heat, 1930), p. 294-5; Blake, Robert. Disraeli (London: Eyre & Spottiswoode, 1966), p. 648-9.

(135) Hill. A History, p. 287 .

(136) Cecil. Life of Salisbury, Vol.2, p. 275, 294.

تدخل روسي أو فرنسي محتمل فيما يتعلق بموضوع قبرص[137].

الصحف البريطانية واتفاقية قبرص:

كانت الصحف البريطانية قد بدأت بالحديث عن قبرص مثل صحيفة "ديلي نيوز" Daily News المعارضة والتابعة لحزب الأحرار التي بدأت بعد يوم 26 يونيه 1878 بالحديث عن مسألة قبرص دون الدخول في التفاصيل، حيث كتبت أن فكرة أخذ قبرص قد تكون بسبب مشاعر رئيس الوزراء –"دزرائيلي"- السامية نحو "إسرائيل"، وأنه يجب ألا نعطي لذلك الأمر قيمة[138].

أما بعض الصحف البريطانية الأخرى فكانت تتقبل سياسات حكومة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية، مثل صحيفة "بول مول جازيت" Pall mall gazette التي قالت في 9 يوليه: "هذا ليس نصراً -اتفاقية قبرص– ولكنه كسبٌ تكون بريطانيا بدونه في الشرق قد نزلت إلي الحضيض"[139].

ضغوط بريطانيا للتعجيل بالسيطرة على قبرص:

بعدما أمضي "لايارد" مع "صفوت باشا" ملحق اتفاقية قبرص –في 1 يوليه- قال للأخير أنهم لا يتحملون ضياع الوقت أكثر من هذا، لكن الصدر الأعظم قال بأن الفرمان سيُكتب من قبل الكاتب الخاص للسلطان ليكون جاهزاً قبل يوم 3 يوليه، لكن ونتيجة إصرار "لايارد" فقد أوصاه صفوت باشا بالذهاب شخصياً إلي السلطان لإمضاء الفرمان مساء اليوم نفسه، ولقد قام "لايارد" بشد رحاله إلي السلطان، لكن ورغم انتظاره حتى وقت متأخر من الليل إلا أنه رجع إلى طرابيا دون الحصول علي نتيجة تذكر[140].

لم يكن "لايارد" يرغب بتضييع الوقت، لذلك فقد جاء باقتراح طرحه علي صفوت باشا وهو أنه حتى إمضاء الفرمان؛ فإن موظفاً من قبل الباب العالي سيذهب مع ساعي البريد "بارينج" Baring إلي كريت في السفينة سلاميس في 2 يوليه حيث سيتم انتظار نتيجة اجتماع المجلس الذي سيكون في يوم التالي، وبهذه الطريقة فإنهم سيكسبون الوقت ويوفرون المسافة والوقت، وكان "لايارد" قد جاء بهذا الاقتراح؛ لأنه كان يعتقد بأن الباب العالي سيقبل المعاهدة، لكن التطورات اللاحقة لم تتم وفق ما يريد "لايارد" تماماً[141]؛ لأن الفرمان لن يكون جاهزاً قبل ظهر

(137) Kurat. Henry, s. 95.
(138) Ibid, s. 90.
(139) Zia. Kibris'nin, s. 57.
(140) Kurat. Henry, s. 91.
(141) Ibid, s. 92.

يوم الأربعاء 3 يوليه وأن بارينج لن يستطيع التحرك قبل مساء يوم 2 يوليه[142].

أما السلطان عبد الحميد فكان يعتقد أن بريطانيا لن تقوم بإرسال قواتها إلى قبرص بهذه السرعة التي يريدونها، وبسبب أهمية الموضوع أبلغ السلطان "لايارد" مجدداً أنه سيحيل الموضوع برمته إلي المجلس الخاص الذي كان من المقرر انعقاده يوم 3 يوليه، وكان السلطان يظن نفسه محقاً في اتخاذ هذا التصرف، مشيراً إلى الغضب الذي عم استانبول بسبب المعاهدة السرية بين بريطانيا وروسيا في 30 مايو 1878[143].

وفي 3 يوليه جاء "لايارد" كما كان مقرراً للقصر السلطاني الساعة 4 مساءً، وكان اجتماع المجلس الخاص بشأن قبرص لا زال مستمراً، وكان السلطان قد دعا إليه موظفي الحكومة القدامى، وكل الصدور العظام وشيوخ الإسلام للمشاركة في هذا المجلس، حتى أنه دعا سرور باشا الذي كانت علاقته غير جيدة بـــ "لايارد"، وكان الجو العام في المجلس معارضاً لقبول المعاهدة وإمضاء الفرمان[144]، حيث قال صفوت باشا إن المعاهدة المُزمع عقدها يجب أن تأخذ في الاعتبار ضرورة مراعاة الشروط الواردة فيها، لكن لم يكن هناك وقت يضيّعه "لايارد"، لذلك فقد اتهم الأخير الباب العالي بعدم الإخلاص، وأخبرهم لارياد بأن بريطانيا ستترك الدولة العثمانية في آسيا لروسيا، وأن أراضي الدولة العثمانية ستضيع، وهذا ما يسبب خطورة علي المصالح الاقتصادية لبريطانيا، وللمحافظة علي مصالحهم؛ فإن حكومة لندن لا ترى أي مانع في انتقال المنطقة إليها[145].

وكانت التعليمات الواردة إلي "لايارد" من حكومته قطعية؛ بألا يسبب أي شيء قد يؤدي إلي تأخير صدور الفرمان الخاص بقبرص؛ في الوقت الذي قال فيه صفوت باشا ل"لايارد" بأنه سيتم يشرح الوضع إلي "سالزبوري" من قبل الكسندر قره ثيودوري Alexander Karathodori ممثل الدولة العثمانية في مؤتمر برلين، وبذلك رجع "لايارد" مرة ثانية دون الحصول علي فرمان السلطان[146]، الذي كان يخشى توقيع فرمان قبرص لأن "لايارد" لم يحدد الفترة المؤقتة التي تسمح لبريطانيا بالبقاء في قبرص، الأمر الذي سبب شكوك السلطان[147].

---

(142) Loc. Cit.
(143) Loc. Cit.
(144) Ibid, s. 93.
(145) Ibid, s. 92.
(146) Ibid, s. 94.
(147) Uzunçarşili, Ismail Hakki. "Ikinci Abdülhamid'in Ingiliz Siyasetine dâir Muhtiraleri", Tarih Dergisi (Istanbul Üniversitesi: Edebiyat Fakültesi, 1954), Cilt. VII, Sayi, 10, Eylul, s. 91.

ولقد أبرق "لايارد" إلى "سالزبوري" في 4 يوليه بأن المجلس الأعلى العثماني كان منعقداً طوال اليوم ليقر الاتفاق مع بريطانيا، وأن المجلس قد قرر أنه لا داعي لتوقيع الفرمان بنقل إدارة قبرص إلي بريطانيا حتى انتهاء مؤتمر برلين، وكان رفض المجلس الأعلى مبنياً علي أساس أن روسيا قد تعتبر أن احتلال بريطانيا لقبرص سبباً لرفضها التنازل عما احتلته من الأملاك الآسيوية التي حصلت عليها في اتفاقية "سان استيفانو" من الدولة العثمانية، وأن تقوم الدول الأوروبية الأخرى بطلب امتيازات مشابهة، وأن ذلك سوف يكون له تأثيره السيئ علي الرأي العام داخل الدولة العثمانية[148]، لكن كلاً من "لايارد" و"سالزبوري" لم يقنعا بالحجج التي ساقتها الدولة العثمانية، حيث وصف "سالزبوري" هذا الأمر بأنه خرق صارخ ونكران فاضح للجميل من جانب الدولة العثمانية تجاه بريطانيا التي وقفت معها في محنتها، ومن أجل الضغط علي الباب العالي فقد أبرق "سالزبوري" إلي "لايارد" بأن بسمارك الذي اقترح إعطاء تساليا وايبروس وكريت إلى اليونان قد سحب الاقتراح بناء علي رفض بريطانيا الموافقة عليه، ولكن إذا لم يوقّع الفرمان "حالاً" فإن بريطانيا لن تعارض بعد ذلك في أخذ اليونان لهذه المناطق، وطلب "سالزبوري" من "لايارد" أن يخبر السلطان بذلك "حالاً" وأن يبذل كل جهده وأن يستخدم التهديد للحصول علي الفرمان فوراً[149].

لذلك فقد قام "لايارد" بإخبار الباب العالي في اليوم نفسه -4 يوليه- بأن بريطانيا قد تقوم تحت ظرف من الظروف باحتلال بعض الأراضي العثمانية خوفاً من أن تقع تحت السيطرة الروسية مثل العراق[150]، لكن ذلك لم يؤثر علي السلطان الذي قال لصفوت باشا في نهاية اجتماع المجلس الخاص صباح يوم 4 يوليه، بأن الفرمان لن يُعطي ل"لايارد" حتى يتم الحصول على نتيجة إيجابية بعد لقاء قره ثيودوري مع "سالزبوري"[151]، وكان هدف السلطان من ذلك هو التذرع بأن توقيع معاهدة قبرص يجب أن يتأخر حتى تكمل روسيا ما عليها من تسوية المسألة من خلال الانسحاب من المقاطعات الآسيوية التي احتلتها[152]، كما كان لدي السلطان بعض الشكوك بهذا الشأن مستشعراً موقف الرأي العام في بلاده[153].

لذلك فقد كان رد السلطان على تهديدات بريطانيا غير متوقع من قِبَل بريطانيا، حيث كان

(148) Salisbury to Layard, Berlin, F. O. 363-2, 4 July 1878, Telegraph, Personal, Secret.
(149) Loc.Cit; Hill. A History, p. 95.
(150) Zia, Kibris'nin, s. 46.
(151) Kurat. Henry, s. 94-5.
(152) Hill. A History, p. 288.
(153) Zia. Kibris'nin, s. 60.

يعتبر هذه المطالب من جانبهم عاراً على استقلال وعزة الدولة العثمانية والسلطان، وأكد الأخير أنه سيأخذ كل التدابير اللازمة لمنع تهديد بريطانيا باقتحام أسطولها لمضيق الدردنيل، مؤكداً "أن الإنجليز مخطئين بشكل كبير في ظنهم بأنه يمكن إجبارنا بالتهديدات أن نفعل ما يريدون، وأنه في حال حدوث ذلك؛ فإنه سوف تكون له نتائج كارثية[154].

وعندما طلبت الدولة العثمانية عدم نزول القوات البريطانية في قبرص قبل ظهور نتائج مؤتمر برلين لم تستجب حكومة بريطانيا وخصوصاً "سالزبوري" لطلب الدولة العثمانية، حيث طالب "سالزبوري" بالنزول إلى الجزيرة قبل انتهاء المؤتمر، رغم أنه كان قد وعد بعدم النزول إلى الجزيرة قبل ذلك[155].

ولقد أخبر "سالزبوري" "لايارد" باحتمال قيام السلطان بتوقيع الفرمان الخاص بقبرص بعد ظهر يوم 5 يوليه، لكن السلطان أصر على اجتماع المجلس الخاص للمرة الثانية لأهمية الأمر، ولقد بدأ الاجتماع الثاني يوم السبت 6 يوليه[156]، أما "لايارد" فقد كان غاضباً، وهدد بنزول بريطانيا إلى قبرص بالقوة[157]، ومن وجهة نظره فإن السلطان كان خاضعاً لتأثير أعداء بريطانيا والرجال المؤيدين لروسيا وبعض الأشخاص حول السلطان الذين كانوا يبذلون جهدهم من أجل عودة محمود نديم باشا المعادي لبريطانيا، وأكد "لايارد" أنه سيفعل كل ما بوسعه لمنع ذلك[158].

ولقد استمر المجلس الخاص في جلساته حتى الليل وشهد جدلاً ومناقشات شديدة، واعترف "لايارد" أنه قد سمع عن الحوار داخل المجلس بواسطة أحد الوزراء[159]، وكانت محاولات "لايارد" المتحمسة للحصول علي الفرمان السلطاني قد جعله يؤثر علي الصدر الأعظم الذي طلب منه أن يكتب آراءه، ثم دخل الصدر الأعظم المجلس ليقرأ هذه الورقة التي تفيد التهديد من قبل "لايارد"، مما غير من الجو داخل المجلس قليلاً، وبعد ساعتين قَبِل المجلس الخاص المعاهدة، لكنه رفض إعطاء الفرمان فوراً[160]، حتى أن سرور باشا كان يدافع عن بريطانيا في المجلس الخاص بخلاف ما كان يظنه "لايارد"، وفي النهاية وقبل صباح اليوم التالي قام أحمد وفيق قائلاً: "إن الوقت يضيع في المناقشات الفارغة" واقترح قبول قرار المعاهدة وإصدار فرمان بذلك، وأخذ قرار بالموافقة على المعاهدة والتحرك حسب ما يقرره ممثل الدولة العثمانية الكسندر قره

(154) Ibid, s. 47.
(155) Kurat. Henry, s. 95.
(156) Loc. Cit.
(157) Ibid, s. 96.
(158) Zia. Kibris'nin, s. 60.
(159) Kurat. Henry, p.94.
(160) Ibid, s. 93.

ثيودوري مع "سالزبوري" في برلين[161].

وعندما قبلت روسيا إعلان باطوم ميناء حراً في مؤتمر برلين يوم 5 يوليه لم ير "سالزبوري" مانعاً من شرح مواد اتفاقية قبرص السرية مع الدولة العثمانية للآخرين، وفي 6 يوليه قال "سالزبوري": إنه مادام احتلال روسيا موجوداً في قارص وأردهان؛ فإن بريطانيا لن تترك أي شيء من أجل استمرار نفوذها في المنطقة والمحافظة علي مصالحها[162].

تسليم إدارة قبرص لبريطانيا:

كان السلطان يرغب بعد هذه الضغوط التي تمارسها بريطانيا في توقيع فرمان قبرص وإعطائه لسامي باشا والذهاب مع بارينج إلى قبرص حتى لا تقع الفوضى، حيث بدءوا السفر معاً إلى كريت ثم توجها بعدها إلى قبرص في 7 يوليه، وكان السؤال عن سبب تردد السلطان هو ورود تخوفات من احتمال وجود اتفاق بين روسيا والنمسا لتقسيم الدولة العثمانية، وهذا ما كشفته الأيام فعلاً، حيث كان يوجد بينهما معاهدة سرية وُقّعَت في بودابست، وكان من المستحيل على السلطان معرفة ذلك، وأنه في حال إعطاء قبرص لبريطانيا فمن الممكن أن يسبب ذلك الفوضى داخل الدولة العثمانية، حتى أن السلطان كان يخشى أن يؤدي مثل هذا الأمر إلى خلعه من منصبه، في حين جاءت الأخبار من البوسنة بأن المسلمين والأرثوذكس أعلنوا أنهم لن يقبلوا احتلال النمسا لبلادهم، وأنه في حال إعطاء قبرص لبريطانيا؛ فإن ذلك سيشكل حافزاً للنمسا لاحتلال البوسنة[163].

في ذلك الوقت بدأت الشكوك تُثار بشأن اتفاقية قبرص حيث أخبر "سالزبوري" –رئيس وزراء النمسا - المجر أندراسي Andrassy أنه لا يوجد شيء واضح وقطعي بشأن اتفاق قبرص مع الدولة العثمانية، ورجاه "سالزبوري" أن يمسك لسانه لئلا يسبب ذلك الفوضى، ولقد قبل أندراسي رجاء "سالزبوري" هذا مقابل دعم بريطانيا له في موضوع البوسنة والهرسك، ووعد مقابل ذلك ألا يبلغ ألمانيا وروسيا اللتين لم تكونا قد سمعتا به[164]، وبعد كل هذا كتب "سالزبوري" إلى وادنجتون Waddington وزير خارجية فرنسا في يوليه بأنه وصل إلى قرار بوجوب شرح الظروف المتعلقة باتفاقية قبرص خصوصاً وأن بعض قادة الدول، مثل: بسمارك كان يُحرّض بريطانيا على احتلال بعض الأراضي في آسيا الصغرى وقناة السويس ومصر، ولكن هذا من

(161) Ibid, s. 94.
(162) Hill. A History, p. 288; Zia. Kibris'nin, s. 40.
(163) Kurat. Henry, s. 96.
(164) Kurat. Henry, s. 89.

وجهة نظر "سالزبوري" يجب أن لا يؤثر على فرنسا، لذلك فإن بريطانيا لم تقبل اقتراحات بسمارك[165].

وحتى ذلك الوقت كان "لايارد" يحاول بواسطة صفوت باشا التأثير على السلطان من أجل توقيع فرمان اتفاقية قبرص[166]، ولقد نجحت جهود "لايارد"، حيث وقع السلطان الفرمان الخاص بقبرص والذي وصل أخيراً من قبل صفوت باشا الساعة 6 مساءً من يوم 7 يوليه، وكان الفرمان يتضمن التقرير الذي وصل بأمر السلطان، وهو يحتوى على قرارات المجلس الخاص والظروف التي صدر فيها هذا الفرمان، ولم يتم الاعتراض عليه من قبل أي أحد من الحاضرين في المجلس الخاص، وعندما أخذ "لايارد" الفرمان هرع إلى السفينة سلاميس التي كانت تنتظر لعدة أيام كي تغادر إلى قبرص[167]، كما صدرت الأوامر إلى جون هاي John Hay ضابط البحرية الملكية البريطانية ومعه بعض السفن الحربية للتوجه إلى جزيرة قبرص، لكن "سالزبوري" طلب تأجيل إرسال القوات بضعة أيام أخرى، حتى لا يبدو الموقف أمام الدول الأوروبية في مؤتمر برلين وكأنه تهديد، وحين علم أندراسي وبسمارك رسمياً باتفاقية قبرص لم يعترضا، بل إن بسمارك سُرَ كثيراً، لكن المشكلة لم تكون بالأساس معهما، بل مع فرنسا[168].

ولقد أرسل "لايارد" برقية إلى حكومة ألمانيا يوم الأحد 7 يوليه قائلاً "بأن مفتاح قبرص قد أصبح في يد بريطانيا"، وكان باستطاعة "سالزبوري" أن يقوم بمفاتحة فرنسا بشأن هذا الموضوع دون وجود معارضة حقيقية، أو بمعنى آخر دون أن تستطيع فرنسا أن تفعل شيء تجاه ذلك[169].

في هذه الأثناء استطاع السر "كامبل كلارك" Campbell Clarke مراسل صحفية "ديلى تلغراف" Daily Telegraph في برلين الحصول على تأكيدات بشأن اتفاقية قبرص، والذي بدوره أطلع "سالزبوري" على ذلك في برلين، حيث أكد له الأخير ذلك ورجاه ألا يصدر أي شيء عن هذا الشأن في صحيفته[170]، لكن صحيفة ديلي تلغراف لم تلبث وأن قامت صباح يوم 8 يوليه بنشر أنباء الاتفاقية، واضطرت الحكومة البريطانية أن تصدر بياناً كاملاً عنها وهي تجيب عن الأسئلة التي وّجهت إليها بهذا الشأن في البرلمان في نفس الليلة، وأخبر السيد كروز -القائم بأعمال وزارة الخارجية البريطانية- "سالزبوري" "بأن النبأ قُوبِل باستحسان عظيم" في بريطانيا،

(165) Zia. Kibris'nin, s. 67.
(166) Kurat. Henry, s. 98.
(167) Zia. Kibris'nin, s. 46.
(168) Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 270.
(169) Kurat. Henry, s. 96.
(170) Ibid, s. 40.

ولكنه لا زال حذراً؛ لأن الكل قلق جداً ويريد أن يعرف ماهية الوضع النهائي لمدينة باطوم[171].

أما الرأي العام البريطاني، فقد كان سعيداً جداً بالنتيجة التي توصلت لها بريطانيا مع الدولة العثمانية بشأن اتفاقية قبرص؛ لأنهم كانوا يعتقدون بأن ذلك هو الطريقة الوحيدة من أجل معادلة شروط الاتفاق الذي تم التوصل إليه بين بريطانيا وروسيا في 30 مايو[172].

أما "لايارد" نفسه فكان يشعر بأنه أسعد سياسي في استانبول بعد أخذه فرمان قبرص الذي وقعه السلطان، حيث رُفع العلم البريطاني بعد مؤتمر برلين بيومين على قبرص[173]، وعندما وصل سامي باشا وبارينج إلى قبرص يوم 10 يوليه عرضا فرمان قبرص على نسيم باشا حاكم قبرص ، وفي يوم 12 يوليه نزل اللورد هاي في منطقة "ماقوسا" Magusa مع 50 جندياً من قواته الساعة الحادية عشر والنصف ظهراً من يوم الجمعة، مما يدل على أن الانجليز كانوا يحاولون الاستفادة من الهدوء الملازم لصلاة الجمعة، رغم أن الجو العام في قبرص كان هادئاً ولا يُرى أن هناك احتمالاً للمقاومة[174]، لكن لا شك فيه أن أغلبية الموظفين في المناصب العليا كانوا يشككون في إمكانية تنفيذ هذا الأمر لمعرفتهم حساسية السلطان بشأن مسألة التنازل عن أي جزء من أراضي الدولة العثمانية[175]، حيث كان "لايارد" يقول للورد ليونز Lyons إن شكوك الأتراك ستوجد مشاكل حقيقية، كما أن هوجيز فورنيير Hugues Fournier السفير الفرنسي في استانبول كان يعمل لاستغلال الموقف لصالح بلاده، حيث قال "لايارد": "نفوذ فرنسا هنا يَقْوَى بشكل كبير وينظرون إلى بريطانيا كدولة أنانية"[176].

ومن جهة أخرى فقد وقعت اتفاقية برلين يوم 13 يوليه 1878، وبعد يومين عاد المندوبون البريطانيون إلى لندن وكان بانتظارهم استقبال حاشد من البريطانيين، حيث أعلن "دزرائيلي" أنه عاد بالسلام والشرف[177]، حيث كان السلام هو ما يتعلق بمعاهدة برلين بين روسيا والدولة العثمانية وتأمين الأوضاع في أوروبا من جديد، أما الشرف فكان الحصول على قبرص من الدولة العثمانية[178].

---

(171) Lee. Great, p. 102.
(172) Kurat. Henry, s. 97.
(173) Ibid, s. 97-8.
(174) Ibid, s. 101.
(175) Zia. Kibris'nin, s. 60.
(176) Ibid, s. 61.
(177) Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2, p. 259-6, Storrs. Orientation, p.461; Lane-Poole, Stanley. Assisted By E. J. W. Gibb & Arthur Gilman. Turkey (London: T. Fisher Unwin, 1888), p. 363.
(178) Storrs. Orientation, p. 461.

المادة الملحقة باتفاقية قبرص بشأن بقاء سيادة السلطان:

قام "لايارد" في ذلك الوقت بتحذير حكومته بأن لا تقوم بتحمل أعباء بنود ومواد في الاتفاقية الموقعة والتي من الممكن أن يكون لها تفسيرات وتأويلات كاشتمالها واحتوائها على أمور تتعلق بأملاك السلطان والأراضي المهملة في قبرص[179]، وأكد "لايارد" أنهم لن يقوموا بعمل أي تغيير أو زيادة على اتفاقية قبرص، وبالنسبة للإصلاحات الموعودة من قبل الدولة العثمانية –والخاصة بالسكان المسيحيين في الولايات الآسيوية والأوروبية على السواء- فقد صرح "لايارد" بأن حكومة بلاده لا تريد أكثر مما جاء في إعلان الدستور العثماني عام 1876، لكن السلطان لم يقتنع بهذه الاقتراحات[180]، ولقد دُعِيَ "لايارد" مجدداً من قبل السلطان الساعة 11 من يوم 14 يوليه، حيث تراجع السلطان عن مطالبه في تفسير كل المواد المتعلقة بالإصلاحات، ومع هذا أكد إصراره على وضع شرط يفيد بأن حقوق إدارته لقبرص لن تضيع خلال تطبيق الاتفاقية، وأكد السلطان على أنه سيضيف جملة تؤكد أن المعاهدة لن تضر بسلطانه في قبرص، وفهم "لايارد" أنه لا يستطيع أن يمنع السلطان عن قراره، رغم أن هذا الإجراء كان خارج التعليمات التي وصلته من لندن[181]، ورغم ذلك فقد كان السلطان يريد مناقشة الموضوع في المجلس الخاص، وطلب من "لايارد" إمهاله حتى صباح اليوم التالي، أما صفوت باشا فقد هدد "لايارد" بالاستقالة إذا لم ينصاع لأوامر السلطان بإضافة جملة تؤكد سيادة السلطان على قبرص[182]، وبناءً على طلب السلطان قام "لايارد" بالإمضاء على هذه المادة في 15 يوليه 1878، ونتص على: "أن سفير بريطانيا يعلن بعد قبوله معاهدة قبرص؛ فإن حقوق السلطان لن تمس بسوء"[183]، خصوصاً بعد أن أكد صفوت باشا ل"لايارد" بأن روسيا تعارض الاتفاق، وأن الجو العام يتطور داخل الدولة العثمانية ضد بريطانيا[184].

موقف حزب الأحرار من اتفاقية قبرص:

كانت اتفاقية قبرص لحظة عظيمة في حياة "دزرائيلي"[185]، بل إنها كانت أكثر ما سُرّ به "دزرائيلي" وهي التي كان قد ذكرها قبل ذلك بثلاثين عام في رواية "تانكريد" Tancred، ولم يكن

(179) Maurice and Other. The life of Wolseley, p. 96.
(180) Kurat. Henry, s. 98.
(181) Ibid, s. 99.
(182) Hill. A History, p. 302; Kurat. Henry, s. 99-100.
(183) Hill. A History, p. 302; Kurat. Henry, s. 100.
(184) Kurat. Henry, s. 100.
(185) The Cambridge Modern History (Cambridge: At the University Press, 1909-1910), Vol. XII, p. 33.

يحلم بأن تتحول أحلامه وخيالاته إلى واقع عملي، وبذلك ضُمت قبرص إلى جبل طارق ومالطا، لتتم عملية السيطرة بالكامل على البحر الأبيض[186]، لذلك فقد وصف "دزرائيلي" قبرص واسماها "مملكة آلهة الجمال الوردية" The rosy realm of Venus و"مفتاح غرب آسيا"[187]

وكان من الغريب من الناحية التقنية أن قبرص كانت مثار جدل في بريطانيا هل هي جزيرة آسيوية أم أوروبية؟ ورغم أن المعارضة البريطانية كانت تعتبرها أوروبية كان "دزرائيلي" وحكومته يعتبرونها آسيوية، حيث يحق لهم إنزال قواتهم فيها للدفاع عن الدولة العثمانية[188]، لذلك فقد قال "دزرائيلي": "فعلت الشيء الحكيم. هذا تقدم ... والأمة تحب التقدم"، وكان التقدم من وجهة نظر "دزرائيلي" هو "السيطرة على شيء ما" Was evidently Seizing Something[189]، لذلك فقد اعتبر "دزرائيلي" و"سالزبوري" أن الكسب الجيد بالحصول على قبرص سيكون مفيداً لمصالح بريطانيا[190]، وذلك من خلال تأمين "دزرائيلي" لمصالح بريطانيا ضد روسيا باحتلاله قبرص[191].

أما الملكة فيكتوريا، فقد أرسلت إلى "دزرائيلي" قائلة: "الجميع في البلاد مسرور إلا جلادستون الذي بلغ به الغضب حد الجنون"[192].

ولقد هاجمت المعارضة متمثلة بحزب الأحرار بقيادة جلادستون اتفاقية برلين واتفاقية قبرص، حيث قام الأخير بتسميته "بالاتفاق المشؤوم" The Insane Convention؛ لأنه كان اتفاقاً سرياً دون مشاركة أو علم القوي الأوروبية الأخرى، وهو ما يتنافى مع روح معاهدة باريس[193]، ولم يتوان جلادستون عن التذمر من هذا الاتفاق باعتباره "جرم شنيع" The Enormous Magnitude بسبب شروطه[194].

---

(186) Maurois. Disraeli, p. 288.
(187) Monroe, E. The Mediterranean in Politics (Oxford: Oxford University Press, 1938), p. 49 ; Bolitho. The British, p. 140.
(188) Gwynn, Stephen - Tuckwell, Gertrude M. The Life of the R.T. Hon Sir Charles W. Dilke (London: John Murray, 1918), Vol. I, p . 253.
(189) Sontag, Raymond James. Germany and England, Background of Conflict 1848-1894 (New York: D. Appleton-century company, 1938), p. 155.
(190) Zia. Kibris'nin, s. 57.
(191) Manroe. The Mediterranean, p. 6.
(192) Hill. A History, p. 289; Maurois. Disraeli, p. 288; Guedalla, Phillip. The Queen and Mr. Gladstone (London: Hodder & Stoughton, 1933), Vol. 2, p. 16.
(193) Hill. A History, p. 278-9; Morley, John. The Life of William Ewart Gladstone (London: MacMillan, 1912), Vol. 2, p. 16; Maurois. Disraeli, p. 297.
(194) Medlicott, W. N. "The Gladstone Government and the Cyprus Convention 1881-1885", The Journal of Modern History, Vol. XII, June 1940, No. 2, p. 187.

وكان حزب الأحرار في واقع الأمر يخشى أن يؤدى اتفاق قبرص إلى سوء في العلاقات بين بريطانيا وروسيا والنمسا، بل وإلى نشوب الحرب بينها سواء كانت مجتمعة أم منفردة ضد بريطانيا، أو أن يؤدى هذا إلى قيام روسيا بالاعتداء على آسيا الوسطي من جديد، باعتبار أن احتلال قبرص يعد إخلالاً بقواعد السلام الدولي وتوازن القوى في أوروبا[195].

أما جرانفيل –أحد قادة حزب الأحرار- فكان قد أكد قبل الاتفاقية في رسالته إلى الملكة فيكتوريا أن السلطان لن يقبل أبداً اتفاق كما تريد حكومة بريطانيا بشأن قبرص، وأن نشاطات "سالزبوري" العدوانية يمكن أن تُفسد أهداف ومحاولات "لايارد" التي يبذلها منذ قدومه إلى استانبول يوم 20 أبريل 1877 لإنشاء وتقوية النفوذ البريطاني في بلاط السلطان والعمل على استمراريته[196]، وعندما علم جرانفيل بالتوقيع على اتفاقية قبرص قال: انه ما من ضابط بحرية إلا وأشار إلى سوئها -سوء اختيار قبرص-، وإن سياسة بريطانيا لن تثير حقد وغيرة روسيا ومعارضتها فحسب؛ بل ستثير حقد وغيرة ومعارضة دول البحر المتوسط الذين لا يبدون رضاهم بشأن مباشرة بريطانيا لنوع من الحماية على أملاك السلطان في آسيا، والتي ستضطر بريطانيا للقيام بأعبائها لحمل السلطان على القيام بالإصلاحات التي وعد بتقديمها[197].

وكان منطق حزب الأحرار في معارضة اتفاقية قبرص يقوم على أساس عدم ضرورتها لحماية طريق الهند، وأنها لا تحقق الهدف من منع روسيا من التوغل في آسيا، وأن سياسة الحكومة في ذلك سياسة غير حكيمة؛ لأن بريطانيا تحملت مسؤولية صعبة ومعقدة وتعرّض نفسها لهجوم روسيا، بينما تمتاز الأخيرة عنها في شرقي البحر المتوسط من ناحية موقعها الجغرافي، فروسيا قريبة من هذه المنطقة -البحر المتوسط- وتستطيع أن تختار الوقت المناسب للهجوم، وأن قبرص مكان سيئ من ناحية موقعها وغير مناسبة لبريطانيا في الدفاع عن الدولة العثمانية[198].

أما "جوشن" Goschen الذي كان مسئولاً بحكم أنه سفير خاص من أجل تطبيق برامج حزب الأحرار في استانبول فقد عبر عن اشمئزازه "للدناءة" في إنجاز هذه الصفقة التي تمخضت عنها اتفاقية قبرص، وأعرب عن أسفه لإجراء الاتفاقيات السرية وضم أراضي التي تسيء لسمعة بريطانيا باعتبارها أكثر دولة نظيفة اليد في العائلة الأوروبية[199]، كما قام "لوثيان" Lothian

(195) Medlicott. "The Gladstone Government", p. 187-8.
(196) Zia. Kibris'nin, s. 47-8.
(197) Langer. European, p. 158-60.
(198) Ibid, p. 158-9.
(199) Elliot, Hon. Arthur. The Life of George Joachim Goschen, First Viscount Goschen 1831-1907 (London: Longmans, Green, 1911), Vol. 1; p. 195; Medlicott. "The Gladstone Government", p. 186.

أيضاً من حزب الأحرار بمهاجمة اتفاقية قبرص ووصفها -كما قال جلادستون- بأنه اتفاق مشؤوم، مذكراً أن هذا الاتفاق لن يُوطّد سُبل السلام؛ بل سيؤدي للمزيد من العنف[200].

أما دربي -وزير الخارجية المستقيل- فقد اعترض على اتفاقية قبرص هو الآخر؛ لأن المسألة بالنسبة إليه تشبه مسألة إلحاق الأراضي، وهذا ربما يسبب ظهور العصيان في استانبول وقيام روسيا بهجوم جديد، وأنه يجب الحيلولة دون حدوث ذلك من خلال قيام بريطانيا باتخاذ التدابير اللازمة[201].

موقف حزب المحافظين من اتفاقية قبر:

دافعت حكومة "دزرائيلي" عن اتفاقية قبرص واعتبرت "أنه جاء من أجل الدفاع عن امبراطوريتنا في الهند، وأن روسيا يجب أن تمتنع عن القيام بأي توسع آخر في تركيا الأسيوية، وأن الباب العالي أضعف من أن يقوم بهذا العبء وحده، ومن ثم فإن على بريطانيا أن تكون في وضع يساعد أكثر في مسألة الدفاع عن الدولة العثمانية، وفي تحسين الأحوال الاقتصادية والسياسية في أملاك السلطان الآسيوية، فبريطانيا لم تأخذ على عاتقها مسؤولية الدفاع عن الدولة العثمانية فحسب بموجب مصالحها الامبراطورية؛ بل أصبح عليها مسؤولية تطوير منطقة متخلفة في تركيا -آسيا الصغرى- ولصالح الدولة العثمانية والعالم بصفة خاصة، ولكي تتمكن بريطانيا من القيام بذلك أخذت قبرص"[202].

أما "لايارد" فقد منحته حكومة بريطانيا وسام "الصليب الأعظم البريطاني" Great Cross of Britain بسبب جهوده في مسألة اتفاقية قبرص[203]، كما قام بالرد كغيره علي اتهامات المعارضين لاتفاقية قبرص والموجهة له شخصياً بأن عدم وجود ميناء أو مرفأ يجعلها فعلاً عديمة الفائدة كقاعدة بحرية، وأكد "لايارد" أهمية قبرص وقدرتها علي التحكم بالطرف الشرقي للبحر المتوسط وقربها من مصر وقناة السويس، كما عبّر عن اعتقاده بأن امتلاك قبرص له تأثير مادي ومعنوي على أملاك السلطان الآسيوية، وفي مساعدة بريطانيا في الأمور المتعلقة بالتجارة والزراعة في آسيا الصغرى وسوريا، وقال "لايارد": "سوف نساهم في تدعيم حكم صالح في هذه المناطق"، ولكن هذا لم يكن يمنعه من القول بأن هدف بريطانيا الرئيسي هو أن تدفع بنفوذها السياسي وتجارتها في الشرق قدماً كي يكون لها مركز يمكنّها من مساعدة الدولة العثمانية في

(200) Medlicott. "The Gladstone Government", p. 186.
(201) Zia. Kibris'nin, s. 31; Langer. European, p. 158-9.
(202) Buckle-Monypenny. The Life of Disraeli, Vol. 2, p. 1224-8.
(203) Newton, Lord. The Life of Lord Lyons, A Record of British Diplomacy (London: W.P), Vol. 2, p. 160

صد أي تقدم روسي جديد في آسيا الصغرى، وفي تنفيذ الإصلاحات فيها، لذلك فإن على بريطانيا أن تأخذ ميناء أو محطة على الخليج العربي[204].

أما "ستراتفورد نورثكوت" Stratford Northcote فقد قال عن قبرص "أنها موقع عسكري في الشرق بحيث تستطيع سفننا الرسو فيه في ظروف سيئة، وأن القوات والثكنات ستكون جاهزة هناك لأمور الدفاع"[205].

أما الملكة فقد باركت نتائج مؤتمر برلين وتوقيع اتفاقية قبرص قائلة: "أنا لا أرغب أبداً في استخدام السيد جلادستون أو السيد "لو" Lowe كوزراء لي مرة أخرى. لا أرغب أبداً في إدارة عديمة الثقة الخاصة بالسيد جلادستون بعد ما أبداه من عنف وسلوك خطر على مدى السنوات الثلاث الماضية"[206].

كما دافع لورد "إلكو" Elcho عن اتفاقية قبرص في مجلس العموم قائلاً: "يجب القول إن احتلالنا لقبرص ليس من أجل استخدامها أثناء الحرب؛ بل من أجل التطوير التجاري وللاستفادة من المواد الخام، وبالنسبة لي تصرف الحكومة منطقي ومناسب"، كما قام بعض اللوردات في مجلس العموم بتأييد الاتفاق[207].

حتى أن المؤرخ "ميلمان" Millman قال: "إن اتفاقية قبرص كانت مطلوبة من أجل تحقيق أهدافنا"[208] desired for its own sake، أما المؤرخ "تايلور" Taylor فعلق تعليقا محايداً حيث قال: إن هذه المعاهدة لم تعقدها بريطانيا مع الدولة العثمانية؛ بل تم فرضها عليها فرضاً"، هكذا تم وضع حد نهائي للسياسة البريطانية التقليدية تجاه الدولة العثمانية من الناحيتين النظرية والعملية، وكانت قبرص الخطوة الأولى[209].

رد الفعل الفرنسي على اتفاقية قبرص:

أما عن ردود الأفعال الدولية فقد أشاد بسمارك ب"دزرائيلي" على قيامه بذلك مخاطباً إياه: "لقد

(204) Loc. Cit.
(205) Buckle-Monypenny, The Life of Disraeli, Vol. XI, p. 299.
(206) Guedalla. The Queen , Vol. 2, p. 16.
(207) Hansards Parliamentary Debates, Vol. CCXLII (242), p. 1009; Zia. Kibris'nin, s. 27.
(208) Millman, Richard. Britain and the Eastern Question 1875-1878 (Oxford: Clarendon Press, 1979), p. 450; Porter, Bernard. "British Foreign Policy in the Nineteenth Century", The Historical Journal, Vol. 23, No. 1, March 1980, p. 198.
(209) Taylor, A. J. P. The Struggle for Mastery in Europe 1848-1918 (Oxford: At the Clarendon Press, 1954), p. 250.

فعلت شيئاً حكيماً، هذا هو التقدم، ستكون محبوباً من قبل الشعب، إن الأمة تحب التقدم"[210].

"You have done a wise thing, this is progress, it will be Popular, a nation likes Progress"

أما في فرنسا فقد كانت منذ أبريل 1878 تخشى من الجهود البريطانية تجاه الدولة العثمانية ومن أن يؤدي الاتفاق بينهما إلي أن تكون بريطانيا قريبة من بالمضائق، خصوصاً الدردنيل إلي جانب مصر[211].

لذلك فقد اعتبر اتفاق قبرص بمثابة صفعة علي الوجه بالنسبة لفرنسا[212]، ويمكن القول إن اتفاقية قبرص قد أثارت الوضع السياسي لدى فرنسا وأرسى لديهم بواعث القلق، خصوصاً وأن ذلك يعطي لبريطانيا موقعا متفرداً ومتميزاً قريباً من لبنان وسوريا والأراضي المقدسة ومصر، الأمر الذي بدأ يثير لديهم الاهتمام القديم بتونس[213]، مما أجبر "سالزبوري" على العمل من أجل استرضاء فرنسا من خلال اهتمامه بتأكيد الاهتمامات البريطانية في مصر وقناة السويس، مع الإشارة إلي المسألة التونسية بحيث يكونوا متساوين في مواضع الأقدام والمكاسب[214].

وكان "سالزبوري" قد مهد لذلك يوم 11 مايو 1878 حين قال: "بالطبع إن تونس هي امتداد للإقليم الفرنسي ونحن لا نشعر بالخوف أو الغيرة من ذهاب فرنسا إلي تونس"[215]، كما كان "سالزبوري" وقد أخبر نظيره وزير خارجية فرنسا وادنجتون في يوليه بمعاهدة قبرص في مقابلة شخصية بينهما علي هامش مؤتمر برلين، حيث كان المؤتمر قد أوشك علي الانتهاء، ولقد ثارت ثائرة وادنجتون، وأعلن أن ذلك يشكل صفعة قوية لفرنسا، وعبّر عن امتعاضه من رؤية بريطانيا وهي دولة كان يصفها بأنها دولة آسيوية Une Grande Puissance Asiatique، بمعني أنها تمتلك أقاليم واسعة في آسيا، تقوم باحتلال مراكز استراتيجية مهمة في حوض البحر المتوسط، في حين أن فرنسا لا زالت دولة كبري ومتوسطية Une Grande Puissance Mediterraneenne [216]

ولقد صرّح وادنجتون لنظيره "سالزبوري" في غمرة ثورته، بأن فرنسا لا تقبل الإخلال

(210) Pearson, Hesketh. Dizzy, The Life and Nature of Benjamin Disraeli, Earl of Beaconsfield (London: Methuen & Co. 1951), p. 251.
(211) Lord Lyons to Salisbury, Paris, 8 April 1878, F.O. 27-2308, No. 337, Sec.
(212) Deschanel. Gambetta, p. 256.
(213) Lyons to Salisbury, Paris, 6 Aug. 1878, F.O. 27-2312, No. 617, Sec. Ext.
(214) Lyons to Salisbury, Paris, 19 July 1878, F.O. 27-2311, No. 572, Very Conf. Ext.
(215) Newton. Life of Lord Lyons, Vol. 2, p. 139.
(216) Documents Diplomatiques Francaise 1871-1914, (Paris: Imprimerie Nationale,1930), 1 Serie, Lere Serie. T. II, Doc. No. 330, p. 361

بالتوازن الدولي شرقي البحر المتوسط أو الانتقاص من نفوذها في هذه المنطقة، وأن الرأي العام الفرنسي لن يقبل أبداً الموافقة على معاهدة قبرص، فهي إذلال جديد لفرنسا[217].

لذلك فقد قام "سالزبوري" بإخبار وادنجتون في 21 يوليه 1878 بأن بريطانيا مستعدة بأن تعترف بمصالح فرنسا في البحر المتوسط وفي لبنان والأراضي المقدسة، وكذلك فيما يخص رعاية الكاثوليك في هذه المناطق، كما أن بريطانيا مستعدة للاعتراف بأن لفرنسا مصالح علي قدم وساق مع بريطانيا، بل وأكثر من ذلك فإن بريطانيا مستعدة للاعتراف بمصالح فرنسا في تونس، وقال "سالزبوري" له: "افعلوا ما تشاءون في تونس، فستضطرون للاستيلاء عليها، فإنكم لا تستطيعون ترك قرطاجة بيد البربر"[218].

ولقد رد وادنجتون على "سالزبوري" بأن تونس سوف تقع يوماً ما تحت النفوذ المباشر لفرنسا لتكمل مجموع الممتلكات الفرنسية في إفريقيا، وقال: "إننا لن نسمح لأي دولة بأن تتواجد هناك وسندافع بقوة السلاح عن كل محاولة من هذا القبيل، ولذلك فإني أشكركم علي هذا التصريح الذي أدليتم به الآن ... إن ذلك عربون للصداقة وتعهداً من أجل الوفاق الطيب الذي نريد تدعيمه بين بلدينا، وسأكون سعيداً بإبلاغه إلي حكومتي ... إن ما نتمسك به هو أن تكون الحماية التي سنمارسها في تونس على أرض الواقع حماية معترف بها رسمياً، وأن يكون لنا الحرية في بسط نفوذنا وترقية مصالحنا علي الوجه الأفضل دون أن تعيقنا ادعاءات منافسة"[219].

أما الصحافة الفرنسية فقد قامت بمهاجمة اتفاقية قبرص، مثل صحيفة "الجمهورية الفرنسية" La Republique Française وصحيفة "الدستور" Le Constitutionnel وصحيفة "الاتحاد" L'Union[220] كما كتبت صحيفة" الديبا" Journal de Debats: "إن تقاليد بريطانيا لم تمت تماماً، فهي تعيش في قلب امرأة و سياسي عجوز" قاصدين بذلك الملكة فيكتوريا و"دزرائيلي"[221].

كما أكدت الصحافة الفرنسية في هذه الشأن بأن هذا الاحتلال لقبرص قد أثّر كثيراً على فرنسا، وأشارت إلى أن بريطانيا لم تجرؤ علي احتلال مصر مباشرة، لذلك فإنها أقدمت علي احتلال قبرص لتكون في أقرب مكان من بورسعيد[222].

---

(217) Safwat. Tunis, p. 211-2.
(218) Cecil. Life of Salisbury, Vol. 2 , p. 352; Kurat. Henry, p. 97.
(219) Documents Diplomatiques Francaise, 1 Serie. T. 2, Doc. Nos. 332, p. 367; Newton. Life of Lord Lyons, Vol .2, p. 139, 155-6, 158-9; Safwat. Tunis. P. 147, 211-2, 224.
(220) Safwat. Tunis, p. 206-9; Lee. Great, p. 104.
(221) Maurois. Disrael, p. 269. Buckle-Monypenny. The Life of Disraeli, Vol. XI, p. 343.
(222) Lyons to Salisbury, Paris, 13 July 1878, F.O. 27-2311, No. 559, Ext.

أما "لايارد" فقد كان يرى حسب تقريره يوم 23 يوليه أن التغير في حركة السفير الفرنسي في استانبول فورنير تجاه السلطان ظاهرة من خلال كلامه، وأن سياسة فرنسا عادت إلي سياسة المحافظة على مصالحها في بلاد شرق البحر المتوسط بواسطة الكنائس والأقليات الكاثوليكية[223]، وهذا ما أكدته الأيام حيث قام فورنير بممارسة نشاطه بسرعة ضد بريطانيا، وقام بكل جهد ممكن وبكل فرصة متاحة من أجل اقتراح احتلال فرنسا لتونس مقابل احتلال بريطانيا لقبرص، كما عمد إلي العمل من أجل إضعاف نفوذ "لايارد" علي السلطان[224].

أما "دي لسبس" De Lesseps فقد قام بصورة غير متوقعة بالتعبير عن سروره باحتلال بريطانيا لجزيرة قبرص باعتباره رجلاً فرنسياً ورئيس هيئة قناة السويس رغم ما أثاره الاتفاق من استنكار في فرنسا[225]، حيث أرسل إليه لورد "ليونز" Lyons –السفير البريطاني في باريس- يخبره بأنه يسره أن يسمع بتأييد رجل فرنسي لاحتلال بريطانيا لقبرص، لما في ذلك من فوائد لتسهيل سُبل التجارة في الشرق، وأعرب له عن شكره علي ذلك الموقف[226].

وعندما أثارت فرنسا مخاوفها من احتلال بريطانيا لمصر مجدداً بعد احتلالها لقبرص، صرّح "سالزبوري" بأن حكومة بريطانيا لا ترغب من جانبها بأي توسع، وأن حكومة بريطانيا ترغب بإخلاص في العمل بالاتفاق مع الحكومة الفرنسية من أجل تقدم الموارد المصرية، وأنه لا صلة خاصة لها بمصر رغم أنها تصلها بممتلكاتها في الشرق[227].

ومهما يكن من أمر؛ فإن فرنسا كانت تخشى من الاتفاق البريطاني التركي الخاص بقبرص من أن يؤثر علي توازن القوي في الشرق، فالاتفاق هو مع الدولة العثمانية التي تسيطر علي مصر، مما قد يهدد المصالح الفرنسية من خلال التوسع المحتمل في النفوذ البريطاني في مصر والشام كنتيجة طبيعية لهذا الاتفاق، دون أن تحصل فرنسا علي مقابل، وهذا جل ما كان يقلقها[228].

الملحق الجديد بالاتفاقية وترسيخ الاحتلال البريطاني لقبرص:

أضيف ملحق جديد إلى اتفاقية قبرص في 14 أغسطس 1878 وهي مادة أطلق عليها "مادة إضافية للتشريع" Additional Article on Legislation خوّل فيها السلطان ملكة بريطانيا

(223) Zia. Kibris'nin, s. 66.
(224) Loc. Cit.
(225) Lyons to Salisbury, Paris, 11 July 1878, F.O. 27-2311, No. 555.
(226) Lyons to Salisbury, Paris, 13 July 1878, F.O. 27-2311, No. 560.
(227) Lyons to Salisbury, Paris, 7 Aug. 1878, F.O. 27-2300, No. 492. Ext..
(228) Loc. Cit.

سلطات كاملة طالما كان الاحتلال البريطاني لجزيرة قبرص قائماً من أجل إصدار قوانين وعقد اتفاقيات باسم الملكة نيابة عن حكومة الجزيرة لتنظيم العلاقات التجارية والقنصلية دون إخضاعها لرقابة الباب العالي[229].

وفي برقية أخرى بنفس اليوم -14 أغسطس- تم الحديث عن انتشار الروح العدائية لبريطانيا في فرنسا من جديد بسبب موقفها من مصر وآسيا، وكما أُشيع فإنه إذا اتفقت بريطانيا وفرنسا فيما يتعلق بمصر؛ فلا بد أن يكون ذلك علي حساب إيطاليا[230]، وحتى ذلك الوقت ومنذ مؤتمر برلين كان هناك اقتراحات بتوزيع المناطق جنوب وشرق البحر المتوسط بين الدول الأوروبية، فتحصل فرنسا علي تونس، وإيطاليا علي طرابلس، ويكون هناك فعل مشترك لبريطانيا وفرنسا في مصر، علي أن تتحمل بريطانيا مسؤولية حماية آسيا الصغرى[231].

وفي 3 فبراير 1879 أضيف ملحق آخر حمل عنوان "إعلان علي الأرض" Declaration on Land، تقرر فيه تحديد مبلغ ثابت قدره 5000 جنيه إسترليني، تقوم بريطانيا بدفعه سنوياً للدولة العثمانية طوال فترة الاحتلال البريطاني ابتداءً من بداية السنة المالية التالية، علي أن يدخل في هذا المبلغ الثابت إيرادات الأملاك والعقارات الأميرية والسلطانية[232].

أثر هزيمة "دزرائيلي" في الانتخابات على اتفاقية قبرص:

استمرت الأوضاع علي حالها من خلال هذه الاتفاقات حتى استطاع زعيم حزب الأحرار المعارض جلادستون من هزيمة "دزرائيلي" في الانتخابات البريطانية عام 1880، حيث قام جلادستون بعزل "لايارد" وأعفاه من منصبه كسفير لبريطانيا في استانبول، وقد يعود ذلك إلي التنافس السياسي القائم بين جلادستون و"دزرائيلي" الذي قام في وقت سابق من خلال تعيين "لايارد" في هذا المنصب، رغم أن "لايارد" كان قد حظي بالكثير من النفوذ والتأثير السياسي علي الباب العالي وقدم خدمات مهمة لبلاده، بل ويُعزي إلي "لايارد" الفضل في إعادة التأثير والنفوذ البريطاني من جديد داخل الدولة العثمانية، وكان من أهم إنجازاته توقيع اتفاقية قبرص والتي بذل من أجل إتمامها جهوداً مضنية[233]، وبعد عام قامت فرنسا بتطبيق تفاهماتها الضمنية مع بريطانيا، حيث قامت بإعلان الحماية رسمياً على تونس في 12 مايو 1881، ولقد احتجت الدولة

(229) Hurewitz, J. C. Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Record 1535-1914 (New Jersey: D. Van Nostrand Co, 1956), Vol. 1, p.188-9.
(230) Blanket to Marx, St. Pet. 14 Sep. 1878, F.O. 65-1006, No. 786.
(231) Lyons to Salisbury, Paris, 17 Aug. 1878, F.O. 27-2312, No. 651, Ext. Very Conf.
(232) Hurewitz. Diplomacy, Vol. 2, p. 188-9.
(233) Buckle-Monypenny. The Life of Disraeli, Vol. VI, p. 301, 306, 543.

العثمانية، لكنها عادت وقبلت بالوضع علي أساس أن المسألة أصبحت "أمراً واقعاً"[234].

ولقد رفض السلطان عبد الحميد تحميله مسؤولية التقصير في مشكلتي مصر وتونس حيث قال: "حملني سعيد باشا في مذكراته مسؤولية التقصير في مسألتي مصر وتونس ... وإني أفخر بما أسنده إليّ علي شكل تقصير، ولم أكن أتصور أن تكون الحرب حلاً لكل مسألة من المسألتين، فأنا دائما ضد الحرب، ولو كنت اندفعت للمقاومة في تونس فربما تسببت في ضياع سوريا، ولو اندفعت بعناد في مصر، لكنت بالتأكيد قد فقدت فلسطين والعراق"[235].

أما قبرص فقد كان واضحاً أن بريطانيا لن تتركها، حيث استطاعوا الاستفادة من الخلافات الجماعية داخل فئات المجتمع داخل قبرص، وكانت النتيجة بقاء قبرص تحت الحكم البريطاني[236].

نتائج توقيع اتفاقية قبرص 1878:

كانت اتفاقية قبرص بمثابة نقطة تحول تاريخية في السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية، حيث تغيرت السياسة البريطانية التقليدية الخاصة بالحفاظ على استقلال وتكامل الدولة العثمانية بعد مؤتمر برلين واتفاقية قبرص 1878، وأصبحت بريطانيا من أكثر الدول عدائية للدولة العثمانية، حيث أخبرت الدول الأوروبية مراراً بِتَغَيُر سياستها ورغبتها في تقسيم أملاك الدولة العثمانية، بينما أصبحت روسيا بعد اتفاقية قبرص من أكثر الدول تمسكاً بمبدأ استقلال وتكامل ممتلكات الدولة العثمانية وهي التي كانت تدعو الدول الأوروبية لقرون عديدة من أجل تقسيمها وإنهاء وجودها.

لم تلتزم بريطانيا بأي حال ببنود اتفاقية قبرص 1878 ولا ببنود الاتفاقيات الملحقة بها، مما أدى إلى قيام بريطانيا بإحكام قبضتها العسكرية تماماً على قبرص، وهكذا احتلت بريطانيا لأول مرة مناطق تابعة للدولة العثمانية، الأمر الذي أثار شهية بريطانيا الاستعمارية لتقوم عام 1882 باحتلال مصر والعديد من المناطق التابعة للدولة العثمانية.

**الخاتمة.**

كانت اتفاقية قبرص قد عُقدت من أجل أن تقوم بريطانيا بواجبها نحو الدفاع عن المقاطعـــات

(234) Shaw-Shaw. History, Vol.2, p. 192-3.
(235) Bozdağ, Ismet. Abdülhamid'in Hatira Defteri, Belgeler ve Resimlerle (Istanbul: Kervan Kitapçilik, 1975), p. 32-3.
(236) Aksun. Osmanli, Cilt. 4, s. 349.

الآسيوية من الدولة العثمانية والتي احتلتها أو المهددة بالاحتلال من قبل روسيا في الحرب الدائرة مع الدولة العثمانية، مقابل نقل الإدارة في قبرص إلى بريطانيا، في الوقت نفسه الذي كانت فيه بريطانيا قد عقدت اتفاقية سرية مع روسيا في 30 مايو 1878 تضمن فيها للأخيرة سيطرتها على معظم الأراضي التي احتلتها من الدولة العثمانية، كما عقدت بريطانيا أيضاً اتفاقية سرية مع النمسا في 6 يونيه 1878 تنص على موافقة بريطانيا والدولة العثمانية على قيام النمسا باحتلال البوسنة والهرسك لأجل غير مسمى.

لذلك فقد تنازلت الدولة العثمانية عن قبرص مقابل لا شيء، لأن بريطانيا لم تقم بواجبها من أجل الدفاع عن المقاطعات الآسيوية من الدولة العثمانية أو استرجاع المناطق المحتلة من قبل روسيا، في حين أن اتفاقية قبرص انتهت باحتلال بريطانيا لها وتوطيد حكمها فيها بشكل كامل رغم توقيع العديد من الاتفاقيات الملحقة التي كانت تنص وتؤكد على حق السلطان والدولة العثمانية في امتلاك قبرص.

**قائمة المصادر والمراجع.**

**أولاً: الوثائق الأجنبية The Foreign Documents**

**1- الوثائق غير المنشورة Unpublished Documents**

أ: **الوثائق البريطانية غير المنشورة Unpublished British Documents**

- وثائق وزارة الخارجية البريطانية

**Public Record Office (P.R.O) Foreign Office (F. O)**

وهي الوثائق الموجودة في دار الكتب والوثائق القومية المصرية National Library and Archives وهي لا تحمل أرقاماً للملفات أو المحافظ التي تحتويها والمنقولة بخط اليد والمتعلقة بمراسلات سفراء وقناصل بريطانيا العظمى مع وزارة الخارجية البريطانية في كلٍ من:

TURKEY (The Ottoman Empire), F.O. 78.
RUSSIA, F.O. 65.
FRANCE, F.O. 27.

**2: الوثائق المنشورة Published Documents**

**أ- الوثائق البريطانية المنشورة Published British Documents**


- Anderson, M.S. The Great Powers and the Near East, 1774-1923, Documents of Modern History (London: Edwards Arnold, 1970).

- Temperley, Harold - Penson, Lillian M. Foundations of British Foreign Policy, From Pitt 1972 to Salisbury 1902 (Cambridge: At the University Press, 1938).


**ب - الوثائق الفرنسية المنشورة Published France Documents**


- Documents Diplomatiques Francaise 1871-1914, (Paris: Imprimerie Nationale, 930), 1 Serie, Vol.2.


**ثانياً: محاضر مجلس العموم البريطاني Hansard's Parliamentary Debates**


- Hansard's Parliamentary Debates, (London: Cornelius Buck, 1855),
  - 3 Series, Vol. CCXXII (1879) . Vol. CCXLII (242)


**ثالثاً: السير .Biographies**


- Blake, Robert. Disraeli (London: Eyre & Spottiswoode, 1966).
- Bolitho, Hector. The Reign of Queen Victoria (London: Collins, 1949).
- Buckle, George Earle - Monypenny, William Flavelle. The Life of Benjamin Disraeli, Earl of
- Cecil, Lady Gwendolen. Life of Robert Marquis of Salisbury (London: Hodder and Stoughton, 1921, 1932), Vol. 1- 4.
- Davis, Richard W. Disraeli (Boston: Little Brown and Co., 1976).
- Elliot, Hon. Arthur. The Life of George Joachim Goschen, First Viscount Goschen 1831-1907 (London: Longmans, Green, 1911), Vol. 1, 2.
- Guedalla, Phillip. The Queen and Mr. Gladstone (London: Hodder & Stoughton, 1933). Vol. I, II.
- Gwynn, Stephen - Tuckwell, Gertrude M. The Life of the R.T. Hon Sir Charles W. Dilke (London: John Murray, 1918), Vol. 1, 2.
- Maurice, Sir F - Arthur, Sir George. The Life of Lord Wolseley (London: William Heinmann, 1924).
- Maurois, Andre. Disraeli, A Picture of the Victorian Age, Translated by, Hamish Miles (London: John Lane the Bodley Heat, 1930).
- Morley, John. The Life of William Ewart Gladstone (London: MacMillan, 1912). Vol. 1-3.
- Pearson, Hesketh. Dizzy, The Life and Nature of Benjamin Disraeli, Earl

of Beaconsfield (London: Methuen & Co. 1951).

**رابعاً: المذكرات Memorandums**


- Bozdağ, Ismet. Abdülhamid'in Hatira Defteri, Belgeler ve Resimlerle (Istanbul: Kervan Kitapçilik, 1975).


**خامساً: المصادر الإنجليزية English Sources**


- Anderson, M.S. The Eastern Question 1774-1923, A Study in International Relations (London: MacMillan, 1972).
- Bolitho, Hector (ed). The British Empire (London: B.T. Batsford, 1948).
- Davison. Roderic H. Turkey (New Jersey: Englewood Cliffs, 1968).
- Eyck, Erich. Bismarck and the German Empire (London: George Allen & Unwin. 1950).
- Grant, J.A – Temperley, Harold. Europe in the Nineteenth and Twentieth Centuries 1789-1939 (London: Longmans, Green and Co., 1948).
- Hill, Sir George. A History of Cyprus (Cambridge: At the University Press, 1952), Vol. 5.
- Lane-Poole, Stanley. Assisted By E. J. W. Gibb & Arthur Gilman. Turkey (London: T. Fisher Unwin, 1888).
- Langer, William L. European Alliances and Alignments 1871-1890 (New York: Alfred A. Knopf, 1956).
- Lee, Dwight E. Great Britain and the Cyprus Convention Policy of 1878 (Cambridge: Harvard University Press, 1934).
- Marriott, J.A.R. England Since Waterloo (London: Methuen & Co., 1913).
- Millman, Richard. Britain and the Eastern Question 1875-1878 (Oxford: Clarendon Press, 1979).
- Monroe, E. The Mediterranean in Politics (Oxford: Oxford University Press, 1938).
- Newton, Lord. The Life of Lord Lyons, A Record of British Diplomacy (London: W. P), Vol. 2
- Sarkissian, A.O (ed). Studies in Diplomatic History and Historiography (London: Longmans, Green, 1961).

- Seton-Watson, R.W. Disraeli, Gladstone and the Eastern Question, A Study in Diplomacy and Party Politics (London: MacMillan and Co., 1935).
- Shaw, Stanford J & Shaw, Ezel Kural. History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Reform, Revolution and Republic, The Rise of Modern Turkey 1808-1975 (Cambridge: Cambridge University Press, 1977), Vol. II.
- Sontag, Raymond James. Germany and England, Background of Conflict 1848-1894 (New York: D. Appleton-century company, 1938).
- Storrs, Ronald. Orientations (London: Nicholson & Watson, 1943).
- Taylor, A.J.P. The Struggle for Mastery in Europe 1848-1918 (Oxford: At the Clarendon Press, 1954).
- The Cambridge Modern History (Cambridge: At the University Press, 1909-1910), Vol. XII.
- Thornton, A. P. Rivalries in the Mediterranean (Cambridge: Cambridge University Press, 1962) .


**سادساً: المصادر التركية.Turkish Sources**


- Aksun, Ziya Nur. Osmanli Tarhi, Osmanli Devleti'nin Tahlilli, Tenkidli Siyasi Tarihi (Istanbul: Ötüken Neşriyat A.Ş. 1995), Cilt. 3, 4.
- Armaöglu, Fahir H. Siyasi Tarih Dersleri 1789-1919 (Ankara: Sevinç Matbaasi, 1961).
- Kocabaş, Süleyman. Sultan II. Abdülhamid Şahsiyeti ve Politikasi (Istanbul: Vatan Yayinlari, 1995)
- Kurat, Yuluğ Tekin. Henry Layard'in Istanbul Elçiliği 1877-1880 (Ankara: Ankara Üniversitesi Basimevi, 1968).
- Oğuz, Burhan. Yüzyillar Boyunca, Alman Gerçeği ve Türkler (Istanbul: Can Matbaa, 1983),
- Zia, Nasim. Kibris'nin Ingiltere'ye Geçişi ve Adada Kurulan Ingiliz Idaresi (Ankara: Ayyildiz Matbaasi, 1975)
- Yilmaz, Ömer Faruk. Belgelerle, Osmanli Tarihi (Istanbul: Osmanli

Yayinevi, 1999), Cilt 3, 4.

**سابعاً: المقالات الإنجليزية British articles**


- Hurewitz, J.C. "Ottoman Diplomacy and the European State System", The Middle East Journal, Vol. 15, Spring 1961, No. 2.
- Lee, Dwight E. "A Memorandum Concerning Cyprus 1878", The Journal of Modern History, Vol. III, June 1931, No. 2.
- Medlicott, W.N. "The Gladstone Government and the Cyprus Convention 1881-1885", The Journal of Modern History, Vol. XII, June 1940, No. 2.
- Penson, Lillian M. "Obligations by Treaty: Their Place in British Foreign Policy 1898-1914" Within: Studies in Diplomatic History and Historiography (ed), by. A.O. Sarkissian, (London: Longmans, Green, 1961).
- Porter, Bernard. "British Foreign Policy in the Nineteenth Century", The Historical Journal, Vol. 23, No. 1, March 1980.
- Şaşmaz, Musa. "The Legitimacy of the Emergence of the Armenian Question", Osmanli Tarih Araştirma ve Uygulama Merkezi Dergisi OTAM, Ankara Üniversitesi, Sayi. 8, 1977.


**ثامناً: المقالات التركية Turkish Articles**


- Uzunçarşili, Ismail Hakki. "Ikinci Abdülhamid'in Ingiliz Siyasetine dâir Muhtiraleri", Tarih Dergisi (Istanbul Üniversitesi: Edebiyat Fakültesi, 1954), Cilt. VII, Sayi, 10, Eylul.

مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، ص485– ص508 يناير 2013
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

# "التربية الجهادية عند المرأة المسلمة في صدر الإسلام"

## (1-132هـ= 622 – 750م)

**د. خالد يونس الخالدي**

كلية الآداب – قسم التاريخ

**الجامعة الإسلامية-غزة**

**ملخص**: بينت الدراسة أن المرأة المسلمة في صدر الإسلام قد لعبت دوراً مهماً في صناعة الأجيال التي تفوقت عسكرياً وحضارياً على جيوش الإمبراطوريات المعاصرة لهم، إذ قامت بتربية أبنائها تربية إيمانية جهادية، بدأت منذ أن حملتهم بنية أن يكونوا مجاهدين في سبيل الله، واهتمت بإرضاعهم من حليبها مدة كافية لكي تقوى أجسادهم، وتصح عقولهم، واهتمت بتعليمهم القرآن الكريم وعلومه منذ الصغر، وعودتهم على العبادة والصدق والشجاعة والنجدة والمروءة ومكارم الأخلاق، وحرصت على وعظهم، وتزكية نفوسهم، وتذكيرهم بالسيرة النبوية، وسير الصحابة والتابعين، كي يقتدوا بهم، كما حرصت على إبعادهم عن حياة اللهو والترف، وعلمتهم فنون القتال، وحببت إليهم الجهاد والاستشهاد، ودفعتهم إلى ميادين القتال، وشجعتهم على حسن البلاء، وكانت قدوة صالحة لهم في كل ما دعتهم إليه.

# The Role Of Women In Educating Muslim Generations In The First Era Of Islam

**Abstract**: This paper explores Muslim women's role in the up-bringing of their children at the beginning of the Islamic era. The outcome is evident in building a leading Islamic state. Muslim mothers raised their children to follow the principles of Islamic faith and to sacrifice for the sake of Allah and the newly-born nation. Muslim mothers are live-examples for their children teaching them: the Holy Quran and its sciences; worship of Allah; courage; values, morality and ethics; taking Mohamed (peace be upon Him) and the companions as their guides; and sacrifice for the sake of Islam (Jihad and martyrdom).

**المقدمة**:

لعبت المرأة المسلمة في صدر الإسلام دوراً مهماً وأساسياً في تربية أبنائها تربية إيمانية جهادية، وقد نجحت في هذه المهمة نجاحاً باهراً، إذ كان للأجيال المؤمنة المجاهدة التي أنجبتها وربتها فأحسنت تربيتها، دور كبير في إلحاق الهزائم بجيوش الأباطرة والملوك والحكام المتكبرين الظالمين، الذين أصروا على أن يمنعوا نور الإسلام من الوصول إلى شعوبهم، ونجح أبناؤها بحسن سياستهم،

وصدق جهادهم، وعظمة أخلاقهم، وقوة حجتهم، وتمسكهم بمبادئهم، في نشر دين ربهم، في أرجاء الدنيا، وفي إسعاد البشرية قروناً طويلة من الزمن، بعدلهم وروعة حضارتهم، التي جمعت بين الإيمان والعلم، وبين القيم الأخلاقية السامقة، والإنجازات المادية الكبيرة.

وكان للمرأة المسلمة منهج خاص في التربية الجهادية، يمكن استخلاصه من خلال الإشارات العديدة والمعلومات المتناثرة الواردة في مصادرنا الإسلامية، وهذه مهمة الباحث في هذه الدراسة.

**مبررات البحث:**

هناك أسباب عديدة دفعتني إلى دراسة هذا الموضوع، أهمها:

1- ندرة الدراسات التاريخية العلمية الأكاديمية التي تناولت الموضوع بالرغم من أهميته.

2- نجاح المرأة المسلمة في صدر الإسلام في تربية جيل تفوق عسكرياً وحضارياً على جيوش الإمبراطوريات القوية المعاصرة له، يدفعنا إلى التعرف إلى المناهج والأساليب التربوية التي اعتمدتها تلك المرأة في تربية أبنائها، وأسهمت في هذا التفوق والنصر.

3- جمع المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع المهم، وإخراجه في دراسة علمية يسهل على المرأة المسلمة اليوم أن تعرف وتقتدي، وما أحوجنا إلى أمهات يعلمن ويعملن ويحسن العمل والتربية.

4- بالرغم من قيام الطالب أحمد محمود الجدي من تناول موضوع هذا البحث في رسالته الماجستير " الدور الجهادي للمرأة المسلمة في الإسلام"، والتي أشرفت عليها، بقسم التاريخ في الجامعة الإسلامية بغزة، إلا أني وجدت أن النصوص والروايات التاريخية التي استخدمها الطالب، والمتوفرة في مصادرنا بحاجة إلى مزيد من التحليل والتوظيف والاستنتاج والتنظيم وحسن العرض، وهذا ما سيسعى الباحث إلى تحقيقه في هذا البحث.

**منهج البحث:**

اعتمد الباحث على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي الذي يقوم على جمع الروايات التاريخية من مصادرها الأصلية المتنوعة، سواء أكانت تاريخية أم شرعية أم أدبية، ودراستها، واستخدامها في معالجة الموضوع.

**هيكلية البحث:**

جاء البحث في مقدمة ومبحثين، تناول الأول التربية الجهادية عند المرأة المسلمة في العهد النبوي، وتناول الثاني التربية الجهادية عند المرأة المسلمة في العهدين الراشدي والأموي، ثم انتهى

بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، إضافة إلى قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

**المبحث الأول:**

**التربية الجهادية عند المرأة المسلمة في العهد النبوي**

لقد بدأت التربية الجهادية عند المرأة المسلمة، حتى قبل أن تحمل بأولادها، إذ كانت نساء المسلمين وأزواجهن يعقدون النية على إنجاب فرسان أبطال يجاهدون في سبيل الله، ويتفانون في خدمة دينهم وأمتهم، قبل أن يحدث الحمل بهم، استجابة للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرشدهم إلى ذلك، فقال: " قال سليمان بن داود-عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون".! (1)

كما حرصت النساء المسلمات على إرضاع أولادهن من حليبهن مدة كافية، وألا يحملن حمل غيل قبل أن يأخذ أولادهن نصيباً وافراً من الرضاعة الطبيعية، حتى تصح أبدانهم، وتكون قادرة على تحمل أعباء الجهاد عندما يشبوا، وقد فعلن ذلك استجابة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم القائل:" لا تقتلوا أولادكم سراً، فوالذي نفسي بيده إن الغيل(2) ليدرك الفارس على ظهر فرسه حتى يصرعه"(3)، والقائل: "يا أيها النساء ويلكن لا تقتلن أولادكن، فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه"(4)، وقد تحدث العلماء عن ذلك، وأوضحوا أن الطفل الرضيع إذا أصبحت أمه حاملاً، فإن ذلك سيؤثر على لبنها إذا اغتذى به طفلها الرضيع، فيبقى الطفل ضاوياً(5)، فإذا صار رجلاً وركب الخيل، فركضها أدركه ضعف الغيل، فزال وسقط عن متونها، فكان ذلك كالقتل له(6)، ومن أجل إنجاب أبناء أصحاء أذكياء علماء أقوياء يصلحون للجهاد؛ اهتمت المرأة المسلمة بغذائها أثناء مرحلة الحمل استجابة لتوصية النبي صلى الله عليه وسلم القائل:" أطعموا حبالاكم اللبان(7)، فإن يكن في بطن المرأة غلام خرج عالماً غازياً ذكي القلب شجاعاً سخياً، وإن يكن ما في بطنها جارية حسن خلقها"(8).

لقد نبع اهتمام المرأة المسلمة بتربية أبنائها تربية جهادية من خلال حبها للجهاد في سبيل الله، وإدراكها لأهميته وفضله العظيم، وقد لاحظ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحب للجهاد فعززه،

وأرشدها إلى أن قيامها بدورها كأم مربية، وكزوجة عابدة صالحة، سيحسب لها جهاد في سبيل الله، فعن أنس أن النساء أتين النبي صلى الله عليه وسلم فقلن: يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل يجاهدون ولا نجاهد، قال: مهنة إحداكن في بيتها تدرك جهاد المجاهدين إن شاء الله"(9)، وعن ابن عباس قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أُجروا، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبلغي من لقيت من النساء، أن طاعة الزوج، واعترافاً بحقه، يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله"(10)، ووفدت أم رعلة القشيرية إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وكانت ذات لسان وفصاحة، فقالت: "السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، وإنا ذوات الخدور(11)، ومحل أزر(12) البعول، ومربيات الأولاد، وممهدات المهاد، ولا حظّ لنا في الجيش الأعظم، فعلمنا شيئاً يقربنا إلى الله- عز وجل-، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" عليكن بذكر الله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار، وغض البصر، وخفض الصوت"(13)، وهذه ظبية بنت البراء تطلب من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن يعلمها تسابيح الجهاد، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولي سبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد"(14).

لقد كانت المرأة المسلمة تولي ولدها منذ أن يولد تربية خاصة هادفة تسعى من خلالها إلى جعله مؤمناً قوياً قرآنياً مجاهداً، فقد سأل الفضل بن زيد امرأة من الأعراب عن ابنها، الذي أُعجب بمنظره، فقالت له: "حملته والرزق عسر، والعيش نكد، حملاً خفيفاً، حتى مضت له تسعة أشهر، وشاء الله عز وجل أن أضعه، فوضعته خلقاً سوياً، فوربك ما هو إلا أن صار ثالث أبويه، حتى أفضل الله عز وجل وأعطى، وأتى من الرزق بما كفى وأغنى، ثم أرضعته حولين كاملين، فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد إلى فراش أبيه، فنشأ كأنه شبل أسد، أقيه برد الشتاء وحر الهجير، حتى إذا مضت له خمس سنين، أسلمته إلى المؤدب، فحفَّظه القرآن فتلاه، وعلَّمه الشعر فرواه، ورُغِّب في مفاخر قومه، ولُقِّن مآثر آبائه وأجداده، فلما بلغ الحلم، واشتد عظمه، وكمل خلقه؛ حملته على عتاق الخيل، فتمرَّس وتفرَّس، ولبس السلاح، ومشى بين بيوتات الحي، وأصغى إلى صوت الصارخ"(15).

لقد دفعت النساء المسلمات أبناءهن إلى تعلم القرآن الكريم، قناعة منهن بأثره الكبير في صناعة المؤمنين الرجال، فهذه أم الفضل بنت الحارث تسمع ولدها يقرأ والمرسلات عرفا، فتقول مشجعة له

على حفظ القرآن وتلاوته:" يا بني لقد ذكَّرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب"(16). وهذا عمرو بن سلمة-رضي الله عنه- يقول:" إن قومي نظروا فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني، لما كنت أتلقى الركبان، فقدموني بين أيديهم، وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت عليَّ بردة، كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي، ألا تغطوا إست قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصاً، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص"(17)، ولولا أن عمراً وجد أماً شجعته على حفظ القرآن لما نجح في ذلك وتميز على قومه.

وعلّمت المرأة المسلمة أبناءها سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته، ليتأسوا بجهاده، فهذه أم سعد بنت سعد أم خارجة بن زيد تقول: " كنت يوم الخندق ابنة سنتين، وكانت أمي تخبرني بعد أن أدركت، عن أمرهم في الخندق"(18)، وكانت أم سعد تدخل على خالتها نسيبة بنت كعب، وتقول لها: يا خالة أخبريني، فتخبرها أم عمارة عن خروجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسقي المجاهدين، وتذب عن رسول الله، وترمي بالقوس(19).

ولقد عوَّدت المرأة المسلمة في العهد النبوي أبناءها على العبادة منذ صغرهم، لكي لا يجدونها شاقة عندما يكبرون، فقد ذكرت الربيع بنت معوذ أنهن كنَّ يصوِّمْنَ صبيانهن، ويذهبن بهم إلى المساجد، ويجعلن لهم اللعبة من العهن(20)، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطوهم إياها(21). وكانت بعض النساء يأخذن أطفالهن إلى موسم الحج، ويشرفن على أدائهم لهذا النسك، بالرغم من صغر أعمارهم، فقد لقي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ركباً بالروحاء(22)، فقال:" من القوم؟ قالوا المسلمون، فقالوا من أنت؟ قال: رسول الله، فرفعت إليه امرأة صبياً، قالت: ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر"( 23).

كما نشَّأت الأم المسلمةُ في العهد النبوي أبناءها على الخلق الحسن، فهذه أم عبد الله بن بسر تريد أن تغرس في ولدها الصغير عبد الله خلق الكرم والعطاء، فترسل معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطف من العنب، فيأكله، ثم تتابع الأم ما فعل ولدها، فتذهب إلى رسول الله وتسأله:" هل أتاك عبد الله بقطف؟ قال: لا، ويروي عبد الله بن بسر الحادثة فيقول:" فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآني قال: غُدَرٌ غُدَر"( 24 ).

كما تابعت المرأة المسلمة أبناءها، وكانت تعزز سلوكهم الحسن، وتمدحهم وتثني عليهم إذا أحسنوا، ولا يخفى الأثر الإيجابي لهذا التعزيز في التربية.

فعن عبد الملك بن عمير قال: " كان غلام بالمدينة يكنى أبا مصعب، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه سنبل، ففرك سنبلة، ثم نفخها، ثم دفعها إليه، فأكلها، وكانت الأنصار تعير من يأكل فريكة السنبل، فلما دفعها النبي صلى الله عليه وسلم إليه لم يردها عليه، قال أبو مصعب: ثم قمت من عنده غير بعيد، ثم رجعت إليه فقلت يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني معك في الجنة، قال من علمك هذا؟! قلت: لا أحد قال: أفعل، فلما ولَّيتُ دعاني، قال: أعِنِّي على نفسك بكثرة السجود، فأتيتُ أمي فسألتني، فقلت: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتي بسنبل، ففرك منه سنبلة بيديه المباركتين، ثم نفخه بريقه المبارك، ثم دفعها إليَّ، فكرهتُ أن أردَّه، فقالت: أحسنتَ ثم أتَيْتُه فدعا لي"(25).

وربت النساء المسلمات أبناءهن على كتم الأسرار وخاصة أسرار رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وأسرار الدعوة الإسلامية، فعن أنس بن مالك قال: كنت مع الغلمان فمر علينا النبي عليه السلام، فسلم علينا، ثم بعثني في حاجة، وجلس في جدار أو في ظل حتى أتيته فأبلغته حاجته، فلما أتيت أم سليم، قالت ما حبسك اليوم؟ قلت: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة، قالت: ما هي؟ قلت: إنها سر، قالت: فاحفظ سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فما حدثت بها أحداً قط"(26).
وكانت المرأة المسلمة قدوة لأبنائها في كتم الأسرار، فهي تحفظ السر حتى عن أقرب الناس إليها، وأكثرهم ثقة بالنسبة لها، فهذه أم المؤمنين عائشة يدخل عليها أبوها، وهي تجهز الطعام لرسول الله الذي عزم على غزو قريش، وأمرها أن تجهزه وتخفي أمره، فيقول لها:" يا بنية لم تصنعي هذا الطعام؟ فسكتت، فقال: أيريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغزو؟ فصمتت، فقال: " يريد بني الأصفر؟-وهم الروم- فصمتت، قال: فلعله يريد أهل نجد؟ فصمتت، قال: فلعله يريد قريشاً؟ فصمتت، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له:" يا رسول الله أتريد أن تخرج مخرجاً؟ قال نعم، قال: فلعلك تريد بني الأصفر؟ قال: لا، قال: أتريد أهل نجد؟ قال: لا، قال: فلعلك تريد قريشاً؟ قال: نعم"(27).

وقد علمت المرأة المسلمة فضل الدعاء وأثره في صلاح الأبناء، فتوجهت بعضهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليدعو لأولادهن، أو يحنكهم، فهذه أم حسان ابن شداد تذهب بابنها إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ليدعو له، فتوضأ رسول الله وفضُل من وضوئه، فمسح وجه ولدها، وقال: اللهم بارك لها فيه"(28)، وهذه أم سليم تذهب بعبد الله بن طلحة بعد ولادته ليحنكه، وكان معها تمرات

عجوة، فأخذ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بعض ذلك التمر، فمضغه، فجمع بزاقه، فأوجره، فتلمظ الصبي(29).

ولكي تزداد ثقة الولد بنفسه، وتعلو همته، كانت الأم تختار لولدها اسماً أو كنية تدفعه إلى الشجاعة والإقدام، فهذا علي بن أبي طالب يفخر بتسمية أمه له بالأسد، ويحرص أن يكون أسداً من أسود الله، وكان يقول:" أنا الذي سمتني أمي حيدرة(30)، كليث غابات كريه المنظرة، أوفيهم بالصاع كيل السندرة(31)"(32).

وكانت تنفره من الجبن، وتبغضه إليه، تقول أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-:" إذا خشي أحدكم من نفسه جبناً فلا يغزو(33)، وتقول:" إن لله خلقاً قلوبهم كقلوب الطير، إذا خفقت الريح خفقت معها، فأف للجبناء(34)،

وكانت المرأة المسلمة تدفع أولادها إلى بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، استعجالاً بالخير لهم، ورغبة منها في أن يصبحوا مجاهدين في سبيل الله عندما يبلغوا سن الرشد، وكان الأولاد يقبلون على البيعة بحماس شديد، ويطالبون بالمشاركة في القتال قبل البلوغ، روى البخاري في صحيحه، أن أم عبد الله بن هشام زينب بنت حميد ذهبت به إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقالت:" يا رسول الله بايعه، فقال رسول الله: هو صغير، ومسح رأسه ودعا له"(35)، وعن الهرماس بن زياد قال: مددت يدي إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأنا غلام ليبايعني، فلم يبايعني(36)، وعن أسماء بنت أبي بكر، زوج الزبير بن العوام قالت: جاء عبد الله بن الزبير وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وأمره بذلك الزبير، فتبسم رسول الله، حين رآه مقبلاً، وبايعه"(37).
لقد دفعت المرأة المسلمة بأبنائها إلى ميادين المعارك للمشاركة فيها نصرة لله ورسوله، فهذه عفراء بنت عبيد النجارية الصحابية تدفع بأبنائها السبعة معوذ ومعاذ وعوف وإخوتهم لأمهم إياس وخالد وعاقل وعامر للجهاد في معركة بدر(38)، وكان لولدها الصغير معاذ، ومعه معاذ بن عمرو بن الجموح، شرف قتل أبي جهل، يقول عبد الرحمن بن عوف:"بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار، حديثة أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال يا عم: هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم ما حاجتك إليه يا بن أخي؟ قال أُخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي

جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه، فقال: أيكما قتله؟ قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: كلاكما قتله"(39).

وهذا عمير بن أبي وقاص يذهب يوم بدر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليجاهد فيرده لصغر سنه، فيبكي عمير، فيجيزه النبي ويعقد له أبوه حمائل سيفه، يقول عمير:" ولقد شهدت بدراً، وما في وجهي شعرة واحدة أمسحها بيدي"(40).

وهذه امرأة دفعت لابنها بالسيف يوم أحد، فلم يطق حمله، فشدته على ساعده بنسعة(41)، ثم أتت به النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت يا رسول الله هذا ابني يقاتل عنك، فقال النبي:" أي بني ها هنا، فأصابته جراحة، فصرع، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أي بني، لعلك جزعت؟ قال: لا يا رسول الله"(42).

ولكي يكون أبناؤهن مجاهدين أشداء على الكفار، ربتهم أمهاتهم على الخشونة والفروسية، وأبعدنهم عن التنعم والترف، عملاً بوصية النبي عليه الصلاة والسلام القائل:" إياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين"(43)، فهذه صفية بنت عبد المطلب تنشئ ولدها الزبير على الخشونة والفروسية، وتجعل لعبه في بري السهام وإصلاح القسي، ودأبت على ضربه ضرباً مُبَرِّحاً، حتى إذا عوتبت في ذلك من قبل أحد أعمامه الذي قال لها: ما هكذا يُضرب الولد، إنك تضربينه ضرب مبغضة لا ضرب أم، فارتجزت قائلة:

من قال أبغضتِه فقد كذبْ، وإنما أضربه لكي يُلَبْ، ويَهزمُ الجيشَ ويأتي بالسلَبْ(44).

كما ربينهم على الثبات على الحق إذا ما تعرضوا لأذى المشركين، فهذه أم عبد الله [ ذو البجادين](45)، يأتيها ولدها عبد الله مسلماً وقد جرده المشركون من إزاره، فقطعت بجاداً لها قطعتين، فائتزر بواحد وارتدى الآخر، وكانت لا تفوته غزوة غزاها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وهو الذي قال عنه رسول الله:" إنه أواه، وذلك لأنه رجل كان يكثر من ذكر الله بالقرآن والدعاء ويرفع صوته(46)، ومات ذو البجادين يوم تبوك، ودفنه رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بيده، ولما فرغ من دفنه، استقبل القبلة رافعاً يديه يقول:" اللهم إني أمسيت عنه راضياً فارض عنه وكان ذلك ليلاً"(47).

**المبحث الثاني:**

**التربية الجهادية عند المرأة المسلمة في العهدين الراشدي والأموي**

واصلت المرأة المسلمة في العهدين الراشدي والأموي تربية أبنائها تربية إيمانية جهادية، وظلت تخرج للأمة المجاهدين الأبرار الأبطال، ولذلك فإن حركة الفتح والنصر ونشر الإسلام استمرت، حتى وصل المسلمون ودينهم إلى الشام ومصر والمغرب والأندلس وخراسان وبلاد ما وراء النهر وبلاد السند والهند.

وقد ظلت المرأة المسلمة في هذين العهدين تولي التربية العقائدية الأخلاقية جل اهتمامها، لأنها تدرك أنها الأساس في إعداد القادة والجنود الناجحين المنتصرين، فهي تحثهم على طلب العلم، إدراكاً منها أن العلم يدفع صاحبه إلى الجهاد وإلى كل الفضائل، تقول أم سفيان الثوري محرضة ابنها سفيان على طلب العلم:" يا بني اطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلي، وتقول: يا بني إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك، فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك"(48).

وكانت الأم ترسل أبناءها إلى الكتاب، ليتعلموا القرآن والعلوم الدينية، فقد تنازع أبو صبي عند بعض الحكام، فخيره بينهما، فاختار أباه، فقالت له أمه:" سله لأي شيء يختار أباه، فسأله، فقال: أمي تبعثني كل يوم للكتاب يضربني، وأبي يتركني للعب مع الصبيان، فقضى به للأم، قال: أنت أحق به"(49)

وهذه عثامة العمياء تحث ابنها على أداء الصلاة في وقتها بأسلوب مؤثر، فيدخل عليها يوماً وقد صلى، فتقول له:" أصليتم أي بني؟ فيقول: نعم، فقالت:

**عثام مالك لاهيـــــة حلت بدارك داهيـــة**
**ابكي الصلاة لوقتـها إن كنتِ يوماً باكيـــة**
**وابكي القرآن إذا تلي قد كنتِ يوماً تاليـــة**
**تتلينـــه بتفـــكر ودموع عينك جاريـة**
**فاليـــوم لا تتلينـه إلا وعنـدك تاليـــة**
**لهفي عليك صبابـــة ما عشتِ طول حياتية(50).**

وكانت المرأة تعظ أبناءها، لترقق قلوبهم، وتشحذ نفوسهم، وتقربهم إلى الله، وترغبهم في الآخرة، وتزهدهم في الدنيا، يروى أن امرأة عابدة، وعظت ابنها يوماً فقالت: "ويحك يا بني، احذر بطالات الليل والنهار، فتنقضي مهلات الأعمار، وأنت غير ناظر لنفسك، ولا مستعد لسفرك، ويحك يا بني ما من الجنة عوض، ولا في ركوب المعاصي ثمن من حلول النار، ويحك يابني، مهِّد لنفسك قبل أن يحال بينك وبين ذلك، وجِدّ قبل أن يجِدَّ الأمر بك، واحذر سطوات الدهر، وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن وتقلبها بالعبر، فعند ذلك يهتم التقي كيف ينجو من مصائبها، ثم قالت: بؤساً لك يا بني إن عصيت الله وقد عرفته وعرفت إحسانه، وأطعت إبليس وقد عرفته وعرفت طغيانه"(51).

وروى ابن سعد أن امرأة حدثته عن فاطمة بنت الحسين، فقالت:" إنها كانت تسبح الله بخيوط معقود فيها(52)، وقد اجتمعت يوماً مع ابنها محمد بن عبد الله بن عثمان وقالت:" يا بني إنه ما نال أحد من أهل السفه بسفههم، ولا أدركوا ما أدركوا من لذاتهم، إلا وقد أدركه أهل المروءات بمروءتهم، فاستتروا بستر الله"(53).

وحذرت أم ابنها من الركون إلى زهو الشباب فكانت تعظه:" يا بني إن إن لك يوماً، فاذكر يومك، فلما نزل به أمر الله أكبت عليه أمه، فجعلت تقول: قد كنت أحذرك مصرعك هذا يا بني، فأقول: إن لك يوماً فاذكر يومك، فقال: يا أمه إن لي رباً كثير المعروف، وإني لأرجو أن لا يعذبني اليوم بفضل معروفه، ويلي إن لم يغفر لي"(54)

لقد نجحت الأم المسلمة في أن تزرع خشية الله تعالى في قلوب أبنائها، حتى وهم صغار، فهذا عمر بن عبد العزيز يبكي وهو صغير، فتسأله أمه عن سبب بكائه، فيقول: ذكرت الموت، فتبكي معه(55).

لقد أثمرت هذه التربية الإيمانية التي بدأتها الأمهات مع أولادهن من مرحلة الطفولة، فأدت إلى صناعة رجال يخشون الله حق الخشية، كعمر بن عبد العزيز، الذي وصل إلى الخلافة، فصار مثالاً للحاكم الزاهد العادل الذي نجح في أكبر تجربة إصلاح وتغيير عرفتها الأمة خلال عهده الذي لم يتجاوز السنتين وخمسة أشهر(56).

وحرصت المرأة المسلمة على اصطحاب أبنائها إلى صحابة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ليدعو لهم بالخير، فهذه خيرة مولاة لأم سلمة تُخرج ابنها الحسن إلى الصحابة، فيدعون له، وكان في جملة من يدعو له عمر بن الخطاب، يقول:" اللهم فقِّهْ في الدين، وحَبِّبهُ إلى الناس"(57).

ولشخصية الأم أثر كبير في أولادها، فبإمكانها أن تشجع ولدها على الجهاد وتدفعه إليه، وبإمكانها أن تخوفه أو تمنعه، فقد روي " أن محمد بن طلحة أراد أن يغزو، فجاءت أمه إلى عمر، فأخبرته، فأمره أن يطيع أمه، ثم أراد أيضاً في زمن عثمان، فجاءت أمه إلى عثمان، فأخبرته، فأمره عثمان أن يجلس، فقال: إن عمر أمرني ولم يجبرني، فقال: لكني أجبرك"(58).

ولشخصيتها أيضاً أثر وراثي في أبنائها، فالأم تنجب أبناء يحملون صفاتها، فقد روي "أن عبد الملك بن مروان سابق بين سليمان ومسلمة ابنيه-وكان مسلمة هجيناً-[ أمه أعجمية] فسبق سليمان، فقال عبد الملك: ألم أنهكم أن تحملوا هجناءكم على خيلكم يوم الرهان فتدرك؟"(59).

وكان معاوية بن أبي سفيان إذا نوزع الفخر بالمقدرة، وجوذب المباهاة بالرأي، انتسب إلى أمه، فصدع بذلك أسماع خصمه، ومن قوله لابن الزبير في سجال الفخر:" أنا ابن هند، إن أُطلقت عقال الحرب، أكلتُ ذروة السنام، وشربت عُنفوان المكرع(60)، وليس للآكل إلا الفلذة(61)، ولا للشارب إلا الرنق(62)"(63).

ولم يقتصر دور المرأة المسلمة على البناء الإيماني والأخلاقي لأبنائها، بل اهتمت بتدريبهم على فنون القتال، وتحريضهم على حسن البلاء في القتال، فقد ناولت أم ولدها الصغير سيفاً، فرآه قصيراً، فقال: إنه قصير يا أماه، فقالت: تقدم يا بني خطوة يطل"(64)، وعندما همَّ المسلمون بفتح قلعة رأس العين(65)، وصل إلى المدينة غلام اسمه جميل بن سعد الداري، وكان أرمى خلق الله بالنبل، فقال لأمه العجوز التي جاءت تشيعه قبل المعركة:" يا أماه، أريد أن أجاهد هذا اليوم في الله حق جهاده، فلعلي ألحق بإخواني وجدي، الذين قتلوا بين يدي رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ثم ودعها وسار، فقالت: يا بني سر والله ينصرك ويؤيدك"(66).

وهذه أم تخرج مع ولدها وبنتها من اليمن إلى الشام تشجيعاً له على الجهاد في سبيل الله، وسمعت البنت أخاها يقول: "إنما أذهب لأقاتل لمرضاة الله عز وجل، وقد سمعت معاذ بن جبل يقول: إن الشهداء عند ربهم يرزقون، فقالت له أخته: كيف يرزقون وهم أموات؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله تعالى يجعل أرواحهم في حواصل طيور الجنة، فتأكل تلك الطيور من ثمار الجنة وتشرب من أنهارها، فتغدوا أرواحهم في حواصل تلك الطيور، فهو الرزق الذي جعله الله لهم، فلما كان قتال قيسارية خرج ذلك الغلام إلى القتال بعد أن ودع أمه وأخته وداع الموت، وقال لهم نجتمع على حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم"(67)، وقاتل حتى استشهد(68).

ووظفت المرأة المسلمة عاطفة الأبناء نحو آبائهم الشهداء في تشجيعهم على جهاد الأعداء، فهذه أسماء بنت عميس الخثعمية تحرض ولدها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي استشهد أبوه سنة(8هـ=629م) في معركة مؤتة، إذ كان عبد الله عندما كبر وترعرع يقول لأمه:" يا أماه ما فعل بأبي؟، فتقول: ياولدي قتله الروم، فكان يقول: لئن عشت لآخذن بثأره"(69).

وشجعت النساء المسلمات أبناءهن على القتال في المعارك الكبرى، حتى وهم صغار، ففي معركة اليرموك قال معاذ بن جبل:" يا معاشر المسلمين من أراد فرساً يقاتل عليه في سبيل الله فهذا فرسي وسلاحي، فجاءه ولده عبد الرحمن وقال: أنا يا أبت، وكان غلاماً لم يحتلم، فلبس السلاح وركب الجواد"(70)، وما كان لهذا الغلام الصغير أن يتجرأ على القتال في معركة فاصلة كمعركة اليرموك لولا حصوله على حظ وافر من التربية الإيمانية الجهادية، ولا عجب أن يكون هذا الغلام مقداماً، وهو يرى أباه في ساح الوغى، ويرى ابنة عم أبيه أسماء بنت يزيد بن السكن وهي تقتل سبعة من الروم بعمود فسطاطها(71).

وقد مارست المرأة المسلمة التربية الجهادية لأبنائها من خلال إسداء النصائح العسكرية المهمة، والتي حصلت عليها من خلال تجاربها الخاصة وتجارب الآخرين، فهذه أم الذيال العبسية توصي ابنها، وكان من أشد العرب، فتقول:" يا بني لا تنشب في الحرب، وإن وثقت بشدتك، حتى تعرف وجه المهرب منها، فإن النفس أقوى شيء إذا وجدت سبيل الحيلة، وأضعف شيء إذا يئست من الحيلة، وأحمد الشدة ما كانت الحيلة مدبرة لها، واجلس مع من تحارب جلسة الذئب، وطر منه طيران الغراب،فإن الحذر زمام الشجاعة، والتهور عدو الشدة"(72).

كما مارستها من خلال الاهتمام بأولاد الشهداء، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، بتذكيرهم بما أعده الله لآبائهم من أجر، ولهم كأبناء شهداء من شفاعة ومغفرة، فيشبوا وهم راغبون في أن يسلكوا درب آبائهم، فقد حدَّث ابن رباح الذماري قال:" دخلنا على أم الدرداء، ونحن أيتام صغار، فمسحت رءوسنا، وقالت: أبشروا يا بَنيّ، فإني أرجو أن تكونوا في شفاعة أبيكم(73)، فإني سمعت أبا الدرداء يقول:" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم- يقول: الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته"(74).

لقد حبّبت النساء المسلمات أبناءهن في الجهاد والاستشهاد، ودفعنهم إلى هذا الطريق، وقد فعلن ذلك حباً لأولادهن، ورغبة في الخير لهم، وقناعة يقينية بأن الاستشهاد أقصر الطرق إلى الجنة ونعيمها.

وهذه أم إبراهيم الهاشمية وهي من نساء البصرة العابدات تسمع خطبة لعبد الواحد بن زيد البصري يصف فيها بشعر جميل حورية من الجنة، فتقول له:" يا أبا عبيد ألست تعرف ولدي إبراهيم، ورؤساء أهل البصرة يخطبونه على بناتهم، وأنا أضن به عليهم، فقد والله أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عِرساً(75) لولدي، فكرر ما ذكرت من جمالها...فخذ ولدي معك في هذه الغزوة، فلعل الله يرزقه الشهادة، فيكون شفيعاً لي ولأبيه يوم القيامة، فقال لها عبد الواحد: لئن فعلت لتفوزن أنت وولدك وأبو ولدك فوزاً عظيماً، ثم نادت ولدها...وقالت أي بني أرضيت بهذه الجارية زوجة ببذل مهجتك في سبيله وترك العود في الذنوب؟ فقال الفتى: إي والله يا أماه رضيت أي رضى، فقالت اللهم إني أشهدك أني زوجت ولدي من هذه الجارية ببذل مهجته في سبيلك، وترك العود في الذنوب، فتقبله مني يا أرحم الراحمين، ثم انصرفت فجاءت بعشرة آلاف دينار، وقالت: يا أبا عبيد هذا مهر الجارية تجهز به، وجهز الغزاة في سبيل الله، وانصرفت فابتاعت لولدها فرساً جيداً، واستجادت له سلاحاً... وقالت له: أي بني إذا أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الحنوط، وإياك أن يراك الله مقصراً في سبيله، ثم ضمته إلى صدرها، وقبلت عينيه، وقالت يا بني لا جمع الله بيني وبينك إلا بين يديه في عرصات(76) القيامة، قال عبد الواحد: فلما بلغنا بلاد العدو، ونودي في النفير، وبرز الناس للقتال برز إبراهيم في المقدمة، فقتل من العدو خلقاً كثيراً، ثم اجتمعوا عليه فقتل، قال عبد الواحد: فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلت لأصحابي: لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها، حتى ألقاها بحسن العزاء، لئلا تجزع فيذهب أجرها، قال فلما وصلنا البصرة، خرج الناس يتلقوننا، وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج، قال عبد الواحد: فلما بصرت بي قالت:" يا أبا عبيد هل قبلت مني هديتي فأهنأ، أم ردت عليّ فأعزى، فقلت لها: قد قبلت والله هديتك، إن إبراهيم حي مع الأحياء يرزق، قال: فخرت ساجدة لله شكراً، وقالت: الحمد لله الذي لم يخيب ظني، وتقبل نسكي مني، وانصرفت، فلما كان من الغد، أتت مسجد عبد الواحد، فنادته: السلام عليك يا أبا عبيد، بشراك، فقال: لا زلت مبشرة بالخير، فقالت له: رأيت البارحة ولدي إبراهيم في روضة حسناء، وعليه قبة خضراء، وهو في سرير من لؤلؤ، وعلى رأسه تاج وإكليل، وهو يقول لي: يا أماه أبشري فقد قبل المهر، وزفت العروس"(77).

وروى أبو قدامة الشامي(78) حادثة مشابهة حيث قال: " كنت أميراً على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوت الناس إلى الغزو، ورغبتهم في الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثم تفرق الناس، و ركبت فرسي وسرت إلى منزلي، فإذا أنا بامرأة من أحسن

الناس تنادي يا أبا قدامة فقلت: هذه مكيدة من الشيطان فمضيت ولم أجب، فقالت: ما هكذا كان الصالحون، فوقفت فجاءت ودفعت إلي رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية، فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها مكتوب إنك دعوتنا إلى الجهاد و رغبتنا في الثواب ولا قدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما في وهما ضفيرتاي، وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك، لعل الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي، فلما كانت صبيحة القتال فإذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل، فتقدمت إليه، وقلت: يا فتى أنت غلام غر راجل ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها، فارجع عن موضعك هذا، فقال أتأمرني بالرجوع وقد قال الله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله، و مأواه جهنم و بئس المصير"(79).

فحملته على هجين كان معي، فقال: يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم، فقلت: أهذا وقت قرض؟ فما زال يلح علي حتى قلت: بشرط إن منَّ الله بالشهادة أكون في شفاعتك، قال: نعم، فأعطيته ثلاثة أسهم، فوضع سهماَ في قوسه، وقال: السلام عليك يا أبا قدامة، ورمى به فقتل رومياً، ثم رمى بالآخر، وقال السلام عليك يا أبا قدامة، فقتل رومياً، ثم رمى بالآخر، وقال: السلام عليك سلام مودع، فجاءه سهم فوقع بين عينيه، فوضع رأسه على قربوس سرجه، فتقدمت إليه و قلت: لا تنسها، فقال: نعم، ولكن لي إليك حاجة، إذا دخلت المدينة فأت والدتي وسلم خرجي إليها وأخبرها، فهي التي أعطتك شعرها لتقيد به فرسك، وسلم عليها، فإنها العام الأول أصيبت بوالدي وفي هذا العام بي ثم مات، فحفرت له ودفنته، فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها، فقال أصحابي: إنه غلام غر و لعله خرج بغير إذن أمه، فقلت: إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا، فقمت وصليت ركعتين ودعوت الله عز وجل، فسمعت صوتاً يقول: يا أبا قدامة اترك ولي الله، فما برحت حتى نزلت عليه طيور بيض فأكلته، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته فلما قرعت الباب خرجت أخته إلي، فلما رأتني عادت وقالت: يا أماه هذا أبو قدامة ليس معه أخي، فقد أصبنا في العام الأول بأبي، وفي هذا العام بأخي، فخرجت أمه إلي فقالت أمعزياً أم مهنئاً، فقلت: ما معنى هذا؟ فقالت: إن كان مات فعزني، وإن كان استشهد فهنئني، فقلت: لا بل مات شهيداً، فقالت: له علامة فهل رأيتها؟ قلت: نعم لم تقبله الأرض، ونزلت الطيور فأكلت لحمه، وتركت عظامه فدفنتها، فقالت: الحمد لله، فسلمت إليها الخرج

ففتحته فأخرجت منه مسحاً وغلاً من حديد، وقالت: إنه كان إذا جنه الليل لبس هذا المسح، وغل نفسه وناجى مولاه، وقال في مناجاته احشرني في حواصل الطيور، فقد استجاب الله دعاءه"(80).

إن هذه الروايات بمجموعها لتدل دلالة واضحة على الدور التربوي العظيم الذي قامت به المرأة المسلمة في صدر الإسلام، وهي تذكرنا بنساء فلسطين المسلمات اللائي اقتدين بالجيل الأول من نساء الصحابة والتابعين، وصرن يربين أولادهن تربية جهادية، ويدفعنهم إلى طريق الجهاد والاستشهاد، حتى أنجبن جيلاً من المجاهدين والاستشهاديين، استطاع أن يقهر المحتلين الصهاينة، ويوجه إليهم الضربات الموجعة، ويهز أركان كيانهم المغتصب، ويجعل القدس أقرب من أي وقت مضى إلى التحرير، وما أحوج عالمنا العربي والإسلامي إلى أمهات ونساء يقتدين بالصحابيات والتابعيات، فيصلحن أنفسهن، ويحسِنَّ تربية أبنائهن، ويصنعن للأمة رجالاً يتحقق على أيديهم النصر والتحرير والتمكين.

**الخاتمة ونتائج البحث**:

تم بفضل الله تعالى الانتهاء من هذا البحث، وقد توصل الباحث إلى العديد من النتائج أهمها:

- § تبدأ التربية الجهادية عند المرأة المسلمة قبل مرحلة الحمل بنية إنجاب المجاهدين في سبيل الله.
- § حرصت المرأة المسلمة على إرضاع أولادها رضاعة طبيعية، ومدة كافية حتى تقوى أبدانهم، ويحسنوا الجهاد عندما يشبون.
- § حب المرأة المسلمة للجهاد، وإدراكها للأجر الذي ينتظر المجاهدين والشهداء، جعلها تهتم بالتربية الإيمانية الجهادية، وتدفع بأبنائها إلى ميادين الجهاد والاستشهاد.
- § أدركت المرأة أن المجاهد الذي لا يهزم هو المجاهد الرباني، فنشّأت أبناءها على الإيمان والعلم وحفظ القرآن والصدق والعبادة وحسن الخلق وكتم الأسرار.
- § حرصت المرأة المسلمة على إبعاد أبنائها عن التنعم والترف، وتعويدهم على الخشونة والتحمل، وتدريبهم على مختلف فنون القتال منذ سن مبكرة.
- § كانت المرأة المسلمة تربي أولادها من خلال الموعظة المؤثرة والقدوة الحسنة، وتعليمهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسير التابعين والصالحين.
- § كانت نساء الشهداء يحرضن أولادهن على سلوك درب الآباء من خلال تحريضهم على الكفار الذين قتلوا آباءهم.

- لم تغفل المرأة المسلمة أي شيء يمكن أن يجعل من ولدها مجاهداً ناجحاً، حتى أنها كانت تقدم له النصائح العسكرية التي تنفعه في ميدان القتال.
- حببت المرأة المسلمة أولادها في الجهاد من خلال تذكيرهم بما أعده الله للمجاهدين والشهداء من أجر عظيم.
- ظهرت في صدر الإسلام نماذج رائعة لأمهات دفعن أولادهن إلى طريق الجهاد والاستشهاد، يجب أن يُقتدى بهنَّ في هذا العصر وكل عصر.

**هوامش البحث:**

**(1)** البخاري، صحيح البخاري،ج3، ص1034.

**(2)** الغيلة: هو أن ترضع المرأة وهي حامل. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص402؛ ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص511.

**(3)** أبو داوود، سنن أبي داوود، ج4، ص9؛ ابن حنبل، مسند أحمد، ج6، ص457؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج13، ص323.

**(4)** ابن حبان، صحيح ابن حبان،ج13، ص323.

**(5)** ضاوياً: ضعيفاً نحيفاً قليل الجسم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص489؛ الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص161.

**(6)** العظيم أبادي، ج10، ص260.

**(7)** اللبان: جمع لبن. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص373.

**(8)** العسقلاني، لسان الميزان، ج6، ص286، وفيه قال زنجويه: هذا حديث منكر تفرد به محمد بن عكاشة بإسناد صحيح؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج54، ص229.

**(9)** أبو يعلى الموصلي التميمي، أحمد بن علي بن المثنى، معجم أبي يعلى، ج6، ص140.

**(10)** الهيثمي، مجمع الزوائد ج4/ص305 .

**(11)** الخدر: هو الستر يمد للجارية في ناحية البيت.ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4،ص230.

**(12)** الأزر: القوة، وقيل: الظهر، وقيل: الضعف، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص18.

**(13)** ابن الأثير، أسد الغابة، ج7، ص320؛ العسقلاني، الإصابة،ج8، ص204.

**(14)** ابن الأثير، أسد الغابة، ج7، ص179؛ العسقلاني، الإصابة، ج8، ص9.

**(15)** الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص250.

**(16)** البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص265؛ مسلم، صحيح مسلم، ج1، ص338؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج1، ص139.

**(17)** البخاري، صحيح البخاري، ج4، ص1564؛ ابن حنبل، مسند أحمد، ج5، ص71.

**(18)** ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج8، ص359.

**(19)** ابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص34؛ العسقلاني، الإصابة،ج8، ص140.

**(20)** العهن: الصوف المصبوغ ألواناً.ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص279.

**(21)** البخاري، صحيح البخاري، ج2، ص 692؛ مسلم، صحيح مسلم، ج2، ص 798.

**(22)** الروحاء: قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة. ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص681 .

**(23)** مسلم، صحيح مسلم، ج2، ص974.

**(24)** البخاري، التاريخ الكبير، ج2، ص339.

**(25)** الهيثمي، مجمع الزوائد ج9،ص399.

**(26)** ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ج5، ص229.

**(27)** ابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص286.

**(28)** العسقلاني، الإصابة، ج2، ص66.

**(29)** ابن حنبل، مسند أحمد، ج3، ص105.

**(30)** حيدرة: الأسد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص174.

**(31)** السندرة: مكيال واسع كبير. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص174؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج2، ص408.

**(32)** أبو عوانة، مسند أبي عوانة، ج4، ص106.

**(33)** الخراساني، كتاب السنن، ج2، ص247.

**(34)** ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص124.

**(35)** ج2،ص885.

(36) الطبراني، المعجم الأوسط، ج3، ص63؛ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج5، ص115.

(37) مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص1690.

(38) الزرقاني، شرح الزرقاني، ج3، ص24.

(39) البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص1144؛ مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص1327.

(40) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص 97، المروزي، السنة للمروزي، ج1، ص47.

(41) النسعة: سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره، وقد تنسج عريضة، تجعل على صدر البعير. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص352.

(42) ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ج7، ص371.

(43) ابن حنبل، مسند أحمد، ج5، ص243؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج10، ص250.

(44) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص45؛ العسقلاني، الإصابة، ج2، ص554.

(45) البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص78.

(46) ابن حنبل، مسند أحمد، ج4، ص159، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج9، ص369.

(47) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج1، ص122.

(48) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج3، ص18

(49) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج5، ص475.

(50) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج69، ص 267؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4، ص298.

(51) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص529-530.

(52) الطبقات الكبرى،ج8، ص474.

(53) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج70، ص22.

(54) الأصبهاني، ج2، ص326.

(55) الذهبي، سير أعمال النبلاء، ج5، ص116؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص192.

(56) الخالدي، تأملات في التاريخ والحياة، ص

(57) ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص266.

(58) الخراساني، السنن، ج2، ص164.

(59) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص298.

(60) عنفوان المكرع: أول الماء. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج3، ص309.

(61) الفلذة: القطعة من الكبد واللحم.ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص502.

(62) الرنق: ماء كدر به تراب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص126.

(63) الجاحظ، البيان والتبيين،ج2، ص98.

(64) أبو خليل، اليرموك، ص7.

(65) رأس العين: ضيعة من أعمال الرها. ابن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب ج9، ص415.

(66) الواقدي، فتوح الشام، ج2، ص135.

(67) المصدر نفسه، ج2، ص25.

(68) المصدر نفسه، ج2، ص25-26.

(69) المصدر نفسه، ج1، ص90.

(70) المصدر نفسه، ج1، ص199؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج8، ص312، العسقلاني، الإصابة، ج5، ص47.

(71) ابن الضحاك، الآحاد والمثاني،ج6، ص128.

(72) ابن النحاس، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، ج2، ص 1080-1081.

(73) الطبري، تفسير الطبري، ج16، ص128؛ الأزدي، مسند الربيع، ج1، ص381؛ الهيثمي، موارد الظمآن، ج1، ص517.

(74) الترمذي، سنن الترمذي، ج4، ص187؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج10، ص517.

(75) عرس الرجل: امرأته. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص136.

(76) العرصات: العرصة هي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص52.

(77) ابن النحاس، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، ج1، ص215، 218؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة،ج3، ص38-39.

**(78)** أبو قدامة: هو الفلسطيني الرملي البكاء كان غازيا بعين زربة حكى عن سليمان الخـــواص(ت: حوالي 170هـــ) روى عنه أحمد بن سهل الأردني.ينظر: ابن أبي جرادة، بغية الطلـــب فـــي تاريخ حلب ج10، ص4596.

**(79)** سورة الأنفال، آية15-16.

**(80)** ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4، ص198-201؛ ينظر: ابن أبي جرادة، بغيـــة الطلـــب فـــي تاريخ حلب، ج10، ص4597-4599 .

**قائمة المصادر والمراجع**

**أولاً- القرآن الكريم**

**ثانياً- المصادر العربية:**

**الأبشيهي** ، شهاب الدين بن أحمد أبي الفتح ( ت:850هـــ =1446م):

1- المستطرف في كل فن مستطرف، المكتبة التوفيقية، القاهرة ، د. ت .

**ابن الأثير**، الإمام عز الدين على بن محمد الجزري ( ت: 630هـــ =1233م) :

2-الكامل في التاريخ،10 أجزاء، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيـــروت، ط2، 1415هـــ =1995م.

**ابن الأثير**، الإمام مجد الدين ( ت : 606هـــ=1210م ):

3 -النهاية في غريب الحد يث والأثر، تحقيق طاهر الزواوي ومحمود الطناجي، دار إحيـــاء الكتـــب العربية، ط1، غير مؤرخة.

**الأزدي**، الربيع بن حبيب :

4-مسند الربيع ،تحقيق: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة، مكتبة الاســـتقامة، بيـــروت، ط1، 1415هـــ = 1995م.

**ابن إسحق**، أبي عوانة يعقوب (ت: 316هـــ= 928م ) :

5 - مسند أبي عوانة، 5 أجزاء، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1419هـــ =1998 م.

**الأصبهاني**، أحمد بن عبد الله (ت: 430هـــ =1039م):

6- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،10أجزاء ،دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1405هـ =1984م.

**البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (194هـ- 256هـ =809م -870م) :

7- صحيح البخاري، 6 أجزاء ،تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار بن كثير، اليمامة، بيروت،ط3، 1407هـ = 1987م.

8- التاريخ الكبير، 18جزء، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، د.ت .**البكري**، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي أبو عبيد (ت: 487هـ =1094م ) :

9-معجم ما استعجم، 4 أجزاء ،تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط3، **الترمذي**، محمد بن عيسى السلمي (209هـ-279هـ =824م-892م ) :

10- سنن الترمذي، 5 أجزاء، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

**الجاحظ**، أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب :

11- البيان والتبيين، ثلاثة أجزاء، تحقيق: حسن السزوبي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط4، 1375هـ = 1965م.

**ابن أبي جرادة**، كمال الدين عمر بن أحمد.

**12- بغية الطلب في تاريخ حلب، 12 جزء، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر،د.ت.ط. ابن الجوزي**، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (510هـ-597هـ =1116م-1201م):

13- صفة الصفوة، 4أجزاء، تحقيق: محمود فاخوري، محمد دواس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1399هـ = 1979م.

**ابن حبان**، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ( ت: 354هـ= 965م) :

**14**-صحيح ابن حبان، 18 جزء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ =1993م.

**ابن حنبل**، أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس( 164هـ -241هـ = 780م- 855م):

15- مسند أحمد، 6 أجزاء، مؤسسة قرطبة، مصر، د.ت.

**الخراساني**، أبو عثمان سعيد بن منصور، **(ت: 227هـ= 841م)**:

16-كتاب السنن، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، ط1 ،1403هـ = 1982م.

**أبو داوود** ، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (202هـ-275هـ = 817م -888م ) :

17- سنن أبو داوود ،4أجزاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

**الذهبي**، محمد بن أحمد (ت: 748هـ= 1347م) :

18- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، 8 أجزاء، تحقيق: الشيخ على محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ = 1995م

19-سير أعلام النبلاء، 23جزء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413هـ = 1992م.

**الرازي**، محمد بن أبي بكر (ت: 721 هـ= 1321م ) :

20- مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة ، 1415هـ = 1995م .

**الزرقاني**، محمد بن عبد الباقي بن يوسف ( ت: 1122هـ = 1710م ) :

21- شرح الزرقاني على موطأ مالك،4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ = 1990م .

**ابن سعد**، محمد بن سعد بن منيع أبوعبد الله البصري الزهري ( **168هـ-230 هـ=784م-844م**):

22- الطبقات الكبرى ،8 أجزاء، دار صادر، بيروت ، د.ت.

**ابن أبي شيبة** ،أبو بكر عبد الله بن محمد (159هـ -235هـ = 775م - 849م ) :

23- مصنف ابن أبي شيبة، 7 أجزاء، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.

**الضحاك**، أحمد بن عمرو أبو بكر (206هـ -287هـ = 821م- 900م ) :

24- الآحاد والمثاني، 6 أجزاء، تحقيق: د. باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، الرياض، ط1، 1411هـ = 1991م .

**الطبري**، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (224هـ -310هـ = 839م -922م):

25- تاريخ الرسل والملوك، 5 أجزاء، تحقيق: سكينة الشهابي، دار الكتب العلميـــة، بيـــروت، ط1، 1407هـــ = 1987م .

26- تفسير الطبري، 30 جزء، دار الفكر، بيروت، 1405هـــ = 1985م.

**ابن عبد ربه**، الأندلسي، العقد الفريد ( ت: 830 هـــ= 1427م ) :

7 2 - العقد الفريد، تحقيق، د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت . بيروت، د.ت.

**ابن عساكر**، أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي(ت:571هـــ= 1176م ) :

28- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردیهـــا وأهلها، 70 جزء، تحقيق: محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمروي، دارالفكر، بيروت، ط1ن 1415هـــ = 1995م.

**العسقلاني**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل ( 773هـــ -852هـــ =1372م-1448م ) :

29- لسان الميزان، 7 أجزاء، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلى للمطبوعـــات، بيروت، ط3، غير مؤرخة.

30- الإصابة، 8 أجزاء، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيـــل، بيـــروت ، ط1، 1412هـــــ = 1992م

**العظيم أبادي**، محمد شمس الحق أبو الطيب :

31- عون المعبود، 10 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـــ= 1995م **ابـــن كثيـــر**، إسماعيل بن عمر بن كثير(ت:773هـــ=1372م ):

32- البداية والنهاية، 14 جزء، تحقيق: محمد رضـــوان الدايـــة، مكتبـــة المعـــارف،بيروت، ط1، 1413هـــ = 1993م

**مسلم بن الحجاج أبو الحسن، القشيري** ( 206هـــ- 261هـــ = 822م - 875م ) :

33- صحيح مسلم، 5 أجزاء، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

**ابن منظور**، محمد بن مكرم (630هـــ-711هـــ = 1233م- 1312م) :

34- لسان العرب، 15 جزء ، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت.

**ابن النحاس**، أبي زكريا أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي (ت: 814هـــ=1411م) :

35- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام في فضائل الجهاد، جـزآن، تحقيق: إدريس محمد علي و محمد خالد إسطنبولي، دار البشائر الإسـلامية، ط1، 1410هـ= 1990م .

**الهيثمي**، علي بن أبي بكر (735هـ-807هـ =1335م-1405م) :

36- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 10 أجزاء، دار الريان للتراث، دار الكتـاب العربـي، القـاهرة، بيروت، 1407هـ = 1987م

37-موارد الظمآن، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

**أبو يعلى**، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي(210هـ-307هـ = 825م - 920م) :

38- معجم أبي يعلى ، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلـوم الأثريـة، فيـصل أبـاد، ط1، 1407هـ = 1987م.

**ثالثاً- المراجع**:

**الخالدي**، خالد يونس عبد العزيز

1- تأملات في التاريخ والحياة، غزة، مكتبة دار الأرقم، شوال،1427هـ= نوفمبر-2006م.

**أبو خليل**، شوقي :

2- اليرموك، دار الفكر المعاصر، بيروت – دار الفكر، دمشق، طبعة جديدة.